دعايات مكثّفة

ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

فضيلة الشيخ محمد منظور النعماني

رئيس تحرير مجلة « الفرقان » الشهرية

و رئيس قسم الحديث بدار العلوم ندوة العلماء سابقاً

و عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي (مكة المكرمة)

معرب من الأردية بقلم

الأستاذ نور عالم الأميني الندوي

الناشر

مكتبة « الفرقان » نظير آباد لكهنؤ

طبع على أمر من :

فضيلة الشيخ العلامة المحدث محمد زكريا بن يحيي الكاندهلوي

نزيل المدينـــة المنورة

و

فضيلة الشيخ العالم الجليل محمد طيب

رئيس الجامعة الاسلامية دار العلوم بديوبند (الهند)

طبع فى مطبعة ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)

١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين ، سيدنا و مولانا محمد ، الذى جاء بالدين الوسط المبين ، و على آله و صحبه الطيبين الطاهرين ، و على من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فان قصة هذا الكتاب ترجع إلى مآسى مؤلمة و مهازل مخزية و مبكية سيجد القراء الكرام تفاصيلها فى طى الكتاب ، إنها كشف لمؤامرة دقيقة نسجت فى غاية من اللباقة و المهارة على يد أعداء الدين ، أعداء الله و رسوله ، و دعايات خبيثة كاذبة نالت كل نصيبها من الذيوع و الانتشار ، على يد أعداء العقول و الأفهام ، من سذج من يدعون أنفسهم مسلمين ، و أثرت تأثيرها المطلوب فى قلوب المخلصين أيضاً فضلا عن غير المخلصين ، ضد حركة عملاقة برزت فى جزء من أجزاء أرض الدعوة الاسلامية الأولى : نجد ، على يد مؤسسها و قائدها

المظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى ، تهدف إلى الدعوة إلى التوحيد الخالص النق ، و التمسك بما ثبت بالكتاب و السنة ، و إفراد الله بالعبودية و العبادة ، و العقيدة الابراهيمية الصافية البيضاء ، و رفض السلطان الكاذب الذى خلعه الجهال و السفهاء ممن ينتمون إلى الاسلام على الأولياء و الصالحين ، و الحرب على الخرافات و الأوهام ، و البدع و الأباطيل التى ما أنزل الله بها من سلطان ، و لا دعا إليها رسوله العظيم ، و ليس لها قيمة حبة خردل فى الميزان ، من عبادة القبور ، و العكوف على الأضرحة ، و التبرك و الاستعانة بها ، واللجوء إليها . و النذر و الذبح لها ، و تقديم القرابين إليها ، و الطواف حولها ، و التأدب معها ، و ما إلى ذلك . . و أول من تولوا كبر هذه الدعايات السوداء هم المستعمرون ، و على رأسهم الانجليز ، و جعلوا الخرافيين فى كل مكان أبواقاً لهم و طبولا ، و قد اعتاد الانجليز أن يطلقوا على كل حركة إصلاحية تستند إلى الكتاب و السنة ، و تنبع من أصل التوحيد الخالص ، كلمة « الوهابية » و أن يصفوا القائمين عليها بالوهابيين ، و المؤسف جداً أن الكلمة قد اكتنفتها بفعل الدعايات الهائلة أوضاع خاصة و مفاهيم مدلسة - بفتح اللام - مما جعلها « سباباً » أو كلمة عار يعير بها أولو العقيدة الصحيحة . .

و قد تأثر بهذه الدعاية الكاذبة ، قطاع عريض من المخلصين المؤمنين ، و العلماء الصالحين ، الذين لا ترتقى إليهم شبهة ، فقالوا فى كتبهم و مؤلفاتهم — فى ضوء معلوماتهم التى ظنوها حقيقة بفعل كثرة التناقل و الترداد ، و لا يكلف الله نفساً إلا وسعها — فى شأن الشيخ النجدى و دعوته و حركته و اتباعه مالا يتفق و الواقع ، و لكن معظمهم تراجعوا عن رأيهم لما علموا أن الصدق و الحق فى خلاف ما بلغهم ، و لكن بعضهم لم تتوفر لهم فرصة الاطلاع على الحقيقة ، كما أن الذين تغيروا عن آرائهم الأولى لا تزال تحمل بعض كتاباتهم بعض ما يحتاج إلى البيان و الكشف ، مما استغله فى يومنا هذا بعض الناس فى تقليل شأنهم و الحط من مكانهم — و بالتالى من الذين ينتمون إليهم فى العلم و الفكر و المنهج العلمى و لا سيما فى شبه القارة الهندية — فى أعين أتباع الشيخ النجدى فى العالم العربى ، لإرضاء مطامع وأغراض تافهة ، أو تضخيم شخصيتهم ، أو رفع قيمة العمل الذى يقومون به فى مجال من مجالات الدعوة الاسلامية ، فرأوا أن قيمته سوف لا تتأكد فى أذهان الناس مالم تترسخ فى قلوبهم تفاهة أولئك المخلصين و ضآلتهم و خرافيتهم . . و ما إلى ذلك من الأغراض الخسيسة التى لا يقبل عليها المؤمن المخلص الذى يخاف مقام ربه و ينهى نفسه عن الهوى .

. . . .

الكشميرى ، أحد كبار فقهاء الحنفية و عظام المحدثين ، ولد فى « كشمير » فى ١٢٩٢ هـ ، و قرأ المبادىء على والده و على آخرين ، فى كشمير و فى غيرها ، ثم التحق بجامعة ديوبند ، و تخرج منها بامتياز .

كان من علماء ديوبند الذين يعتبرون - بحق - مفخرة ، والذين لو لم تنجب دار العلوم ديوبند غيرهم لكفاها فخرآ ، و لكفانا تسجيلا ، و أحد نادرة العصر فى قوة الحفظ ، وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين ، و التضلع من الفقه والأصول ، و التعمق فى العلوم العربية الدينية ، و علوم الحكمة ، لم تخنه ذاكرته فيما قرأه فى ريعان شبابه ، كان يسوق العبارات و النصوص كما هى ، شغوفاً بالعلم ، نهماً بالدراسة و المطالعة ، تواقاً إلى الاطلاع على كل جديد مفيد ، دقيق النظر فى طبقات الفقهاء والمحدثين ، و مراتب كتبهم ، عادلا فى الحكم لهم أو عليهم ، كان يصف شيخ الاسلام ابن تيميـة بالبحر الزخار الذى لا ساحل له ، مع انتقاده له فى تفرداته ، و كذلك كان صنيعه مع الآخرين ..

و كان سمح النفس ، شديد الغيرة على الاسلام ، و عقيدة أهل السنة ، شديد العداء للقاديانيـة ، كثير الرد عليهم ، ★

١٣٤٥ هـ بتفوق و امتياز ، و فاق الأقران .

بدأ حياته العلميـــة بممارسة مهنة التدريس فى مدرسة دينيـــة بأمروهه فى « مرآداباد » بالهند ، غير أن قريحته الوقادة ، و عاطفته الدينية الجياشة ، وحماسته الدعوية و الدينية البالغة ، و طبيعتـــه

★ رقيق القلب ، سريع الدمعـــة ، كثير البكاء .. من مؤلفاته : تعليقات على فتح القدير لابن الهمام ، إلى كتاب الحج ، و تعليقات على الأشباه و النظائر ، و تعليقات على صحيح مسلم ، و « عقيـــدة الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام » و « إكفار الملحدين فى ضروريات الدين » و « نيل الفرقدين فى مسألة رفع اليدين » و « مشكلات القرآن ».

و قد جمع بعض تلاميذه إفاداته فى درس سنن الترمذى ، و سماه « العرف الشذى » فى مجلد ، كما جمع الشيخ بدر عالم الميرتهى - أحـــد كبار تلاميذه - تحقيقاته و إفاداته فى درس الجامع الصحيح للبخارى باسم « فيض البارى » .

شغل منصب رئاسة مشيخة الحديث فى دارالعلوم ديوبند ، و درس صحيح البخارى و سنن الترمذى فيها ، كما درس فى جامعـــة « دابهيل » بكجرات ، و من قبلهما فى المدرسة الأمينية بدهلى .

توفى رحمه الله ١٣٥٢ هـ

و قـــد نالت مؤلفاته قبولا و إعجاباً فى سائر الأوساط العلمية و الدينية ، و نقلت إلى لغات عديدة ، عالمية و محلية و نفع الله بها كثيراً ، و لعديد من كتبه ظهرت طبعات عديدة .

و لأسلوبه روعة و جمال ، فى سهولة عجيبة لا نعرف لغيره من الكتاب الاسلاميين المعاصرين و لا سيما فى شبه القارة الهندية .

و يحلولى بالمناسبة الاشارة إلى بعض أهم مؤلفاته :

١ ـ ما هو الاسلام ؟

٣ ـ الاسلام عقيدة و حياة .

٢ ـ القرآن يتحدث إليكم (١) .

٤ ـ معارف الحديث فى ٧ أجزاء .

٥ ـ الصلاة و روحها .

٦ ـ كلمة التوحيد و حقيقتها .

٧ ـ بركات شهر رمضان المبارك .

٨ ـ التعريف بطريقة الحج .

---

(١) و قـــد نقله إلى اللغـــة العربية الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى ، أستاذ الأدب العربى فى دارالعلوم ندوة العلماء ، و رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » العربية .

٩ - الشيخ أحمد السرهندى ، حياته و مآثره الاصلاحية .
١٠- السيد إسماعيل الشهيد و الدعاية المكثفة ضده .
١١- من أقوال الشيخ محمد إلياس رحمه الله .
١٢- لماذا نكفر القاديانيين ؟
١٣- القول الصحيح فى نزول النبى المسيح .
١٤- الطريقة السليمة لدراسة القاديانية و الحكم عليها .
١٥- حدود الكفر و الاسلام . . و القادنية .
١٦- ألفية الحديث (مجموعة ألف حديث فى الفضائل والمسائل)
اختارها من مجاميع الحديث الشريف .
١٧- بوارق الغيب لمن يدعى لغير الله علم الغيب .
١٨- مناقشة حاسمة مع المبتدعين .
١٩- السيف اليمانى على فرقة « رضاخانى » .
٢٠- حركة « خاكسار » فى ضوء الكتاب و السنة .

و للشيخ مساهمة فعالة فى النشاطات الاجتماعية و الاصلاحية و العلمية فى داخل البلاد و خارجها ، فهو عضو للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى ، و المجلس الاستشارى لدار العلوم ديوبند ، والمجلس الأعلى لدارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، والمجمع الاسلامى العلمى بندوة العلماء ، و مجلس الأحوال الشخصية لعموم الهند ،

وهيئة التعليم الدينى ، إضافــة على نشاطـاته مع « حركة الدعوة و التبليغ » التى هو من كبار أنصارها و العاملين فيها منذ زمن مؤسسها الشيخ محمد إلياس رحمه الله .

و قد بلغ من عمره ٧٥ عاماً مع ذالك يتمتع بحيوية فائقة و نشاط دائب ، نسأل الله سبحانه أن يبارك فى جهوده و ينفع المسلمين بعلمه و إخلاصه و يمتعهم بطول بقائه .

  

بين يدى الكتاب

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى !

أسطورة عجيبة عن الوهابيين : أما بعـــد فان كاتب هذه السطور قد ولد أواخر ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ، و منذ أن جعلت أعى و أعقل ، لاحظت فى البيئة التى كنت أعيش فيها - ولا سيما فى خؤولتى - أن الناس يذكرون « الوهـابيين » بأسوء ما يكون من الكلمات ، و يتناولونهم بأبشع الصفات ، فكنت أفهم من كلامهم أن « الوهابيين» أقبح خلق الله سيرة وسلوكا ، ولايحبون النبي ﷺ و لا عباد الله الصالحين و أولياءه المتقين ، بل يسيئون معهم الأدب ، و لا يتحرجون من ممارســـة الوقاحة و سوء الاحترام و انتقاص شأنهم .

و قد سمعت وقتئذ أكذوبة عجيبـــة : أن رجلا يحمل اسم « عبد الوهاب » النجدى - و كان يتزعم الطائفة الوهابية - كان قد بلغ من عداوته للنبي ﷺ إلى أن ورد المدينة المنورة يتظاهر بالصلاح و التقوى ، و يتنكر بالنساك و الزاهدين فى الدنيـــا ، الراغبين عنها إلى العبادة ، و سكن بيتاً على الكراء من أجل أن

يتخذ فى داخل الأرض سرباً من بيته إلى روضـــة النبى الكريم ﷺ حتى يتمكن من العبث بالجثة المطهرة ـ نعوذ بالله من ذلك ـ إلا أنه لم يستطع تحقيق أمنيته حيث تراءى النبى ﷺ فى المنام للملك الذى كان يحكم الحجاز حينذاك و قال له ـ فى المنام ـ : إن رجلا من نجد خبيثاً رقيعاً يتخذ النفق فى الأرض من أجل الغرض الخبيث ، فبحث الملك عن الرجل ـ عبد الوهاب النجدى ـ (١) و قبض عليه فعلا ، فضرب عنقه .

و لا أزال أذكر أن الناس كانوا يتناقلون هذه الأكذوبة كحقيقة تاريخية معلومة مقررة ، ولذلك فلم أشك فيها قط . . لأنى لم أجد أحداً يرفضها أو يشك فيها .

البيئة التى عشت فيها : على كل فهذا ما كنت أعرفه حينذاك عن « الوهابيين » وعن « عبد الوهاب النجدى » بالذات ، وكان مصدر هذه المعرفة هو بيئتى التى كنت أتنفس فيهـــا ، و المجتمع الذى كنت أعيش فيه ، و اذكر أنى كنت ـ من أجل ذلك كله ـ مسىء الظن بـ « الوهابيين » و كنت عندئذ فى السابعة أو الثامنة من عمرى .

---

(١) و يلاحظ هنا أن عامة الناس ماكانوا يفرقون بين الشيخ عبد الوهاب و بين ابنه محمـــد المعروف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب .

و تخرجت فى الكتاب ، و دخلت فى مدرسة إسلامية فى مدينتى ، كان مدرسوها من خريجى دار العلوم ديوبند ، وكان الناس يدعونهم « وهابيين » . . غير أنى ما رأيت فى هؤلاء المدرسين شيئاً من الأوصاف الخسيسة أو التهم الشنيعة التى كان القوم يوجهها إليهم ، بل رأيتهم يؤكدون على طاعة الله و رسوله ، وعلى امتثال الشريعة الاسلامية و تطبيقها على الحياة و المجتمع ، و بجانب ذلك كانوا يرفضون - بكل شدة - عبادة القبور و الأولياء ، و اتخاذ الأضرحة ، و الأعياد و المهرجانات التى يقيمها المبتدعة على القبور والأضرحة ، وما إلى ذلك من البدع و الخرافات ، وإنى أحمد الله على أن عشرتى فيهم وجلوسى إليهم ، ودراستى لحياتهم ، واطلاعى على أحوالهم ، كل ذلك أكد لى أن ما اشتهر فى الناس عنهم من صفات السوء والنذالة ، شئ لا يقوم على أساس ، لكنى لا اذكر أنى سمعت من أساتذتى هؤلاء شيئاً ما عن عبد الوهاب النجدى أو محمد بن عبد الوهاب النجدى .

ثم ارسلت - خارج مدينتى - إلى « دار العلوم » بمئو ، بمديرية أعظم جراه ، حيث سعدت بالتلمذة على سيدى الأستاذ الشيخ المربى ، مولانا كريم بخش (١) السنبهلى رحمه الله ،

(١) أستاذنا العلامة الشيخ كريم بخش السنبهلى من تلامـذة ★

و لازمته فترة طويلة من الزمان ، و كان الرجل من كبار العلماء الراسخين فى العلم والحاذقين فى التدريس وقوة التفهيم والاقناع ، من تلامذة العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندى المعروف بـ « شيخ الهند » (١) و كان شديد الغيرة فيما يتصل بالشرك والتوحيد ، والسنة

★ الشيخ الامام محمود حسن الملقب بـ « شيخ الهند » كان يعد من المدرسين البارعين فى عصره ، تلمذ عليه الشيخ المحدث المرحوم فخر الدين أحمد رئيس هيئة التدريس بدار العلوم ديوبند سابقاً و الشيخ العلامة حبيب الرحمن الأعظمى حفظه الله الذى تلمذت عليه حينما كنت أتعلم فى دار العلوم بمئو ، توفى رحمه الله عام ١٣٦٢هـ .

(راجع تاريخ دار العلوم ديوبند ج ٢ ، ٨٥ - ٨٦)

(١) الشيخ محمود حسن الديوبندى الملقب بـ « شيخ الهند » كان إلى جانب زهده و ورعه ، و مكانته العلمية ، بطلا مكافحا يضطرم غيظاً على الانجليز و هو صاحب الخطة المعروفة بخطة الرسائل الحريرية ، ظل مدة طويلة على منصب رئاسة التدريس فى دار العلوم ديوبند ، أسر لنشاطه السياسى ، و ظل نحو أربعة أعوام فى جزيرة مالطة ، يذوق مرائر الحبس و الاعتقال ، له مؤلفات عديدة ، من أهمها «إيضاح الأدلة » وترجمة معانى القرآن

و البدعة كالعلامة الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغنى (١) الدهلوى

※ الكريم ، و « جهد المقل » توفى عام ١٣٣٩هـ .

(نزهة الخواطر ج ٨ ص ٤٦٥ - ٤٦٩)

(١) هو الشيخ العالم الكبير المجاهد و الشهيد فى سبيل الله ، إسماعيل بن عبد الغنى بن شيخ الاسلام وحكيمه ولى الله ابن عبد الرحيم العمرى الدهلوى ، كان (كما يصفه العلامة عبد الحى الحسنى رحمه الله فى كتابه « نزهة الخواطر » فى الجزء السابع) أحد أفراد الدنيا فى الذكاء و الفطانة ، و الشهامة ، و قوة النفس ، و الصلابة فى الدين ، ولد فى ١٢/ من ربيع الثانى ١١٩٣هـ بدهلى ، أخذ العلوم عن أعمامه : الشيخ عبد القادر ، و الشيخ رفيع الدين ، و الشيخ عبد العزيز ، أبناء حكيم الاسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى ، فصار بحراً زاخراً فى المعقول و المنقول ، ثم لازم الامام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوى وتخرج عليه فى الاحسان والتربية ، و سافر معه للحج و الزيارة ، و ذلك عام ١٢٣٧هـ ، ثم سافر معه إلى الحدود عام ١٢٤١هـ لجاهد معه فى سبيل الله ، و كان كالوزير للامام ، حتى استشهد فى وادى « بالاكوت » فى ١٢٤٦هـ ، من مصنفاته « منصب الامامة » بالفارسية فى تحقيق منصب النبوة والامامة وهو ★

الشهيد فى سبيل الله (١٢٤٦هـ) و الشيخ الكبير العلامة المحدث رشيد أحمد الكنكوهى (١) .

★ كتاب لا يزال فريداً فى موضوعه فى المكتبة الإسلامية و كتاب « تقوية الايمان » بالأردية ، الذي نقله إلى العربية سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى باسم « رسالة التوحيد » فى ١٣٩٤هـ . و قد نفدت منه طبعتان ، و الكتاب فى رد الشرك ، و تنقيح العقيدة الاسلامية .

(١) العلامة الفقيه رشيد أحمد الكنكوهى أحد أعلام الأمة و أئمتها فى الفقه و التصوف ، واسع الاطلاع فى كافة العلوم الاسلامية ، كان فقيها بارعاً و محدثاً نابغاً و عالماً ربانياً ، شديد الرفض للبدع و التقاليد الخرافية ، كان زميل الامام محمد قاسم النانوتوى فى الدرس ، شهد معه معركة « شاملى » ضد الانجليز و لم يزل مشتغلا بالدرس و الافادة ، توفى إلى رحمة الله عام ١٣٢٣هـ ، كان يشرف على جامعة « ديوبند » منذ أن توفى الامام محمد قاسم النانوتوى ، جمع الشيخ محمد يحيى الكاندهلوى أماليه فى الدرس و طبع منها « لامع الدرارى » و « الكوكب الدرى » بتعليق و تحقيق الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوى ☼

أول شخص ينوه بجهود الشيخ النجدي و كتابه : و هو أول رجل - فيما أذكر - وجدته يبدى آراء تنم عن الاعجاب بالشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي و بكتابه «كتاب التوحيد» و لعله هو الذى دلني على أن الشخص الذى قام بالدور الفعال المثالى في الدعوة إلى التوحيد و إنقاذ الشعب المسلم من البدع و الخرافات ، والذى جاهد جهاداً كبيراً ضد عبادة القبور وغيرها مما يمت بصلة ما إلى الشرك ، هو «محمد بن عبد الوهاب» (١)

☀ نزيل المدينة المنورة وله مؤلفات أخرى عديدة ، من أهمها مجموعة فتاواه فى مجلدات .

راجع نزهة الخواطر ج ٨ ص ١٤٨ - ١٥٢
و تذكرة الرشيد

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمى النجدى زعيم النهضة الدينية الاصلاحية الحديثة فى جزيرة العرب ، ولد و نشأ فى عيينة ، كان أبوه قاضياً فى حريملا ، قام بالدعوة إلى التوحيد الخالص . و انتهج منهج السلف الصالح و دعا إلى نبذ البدع و التقاليد الخرافية ، قبل دعوته محمد بن سعود ، و آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز ، كان دعوته الشماعة الأولى لليقظة الحديثة ، كانت وفاته فى الدرعية عام ١٢٠٦هـ ، من مؤلفاته «كتاب التوحيد» و «كشف الشبهات» و «فضل الاسلام» ★

و ليس « عبد الوهاب » كما يظنه الناس عنـــدنا من سوء الفهم و من الجهل .

و كان ينوه بكتاب التوحيد ويثنى عليه كثيراً ، وبأسلوب كان يدل على أنه باشر قراءته . . و ما سمعت أحـداً غيره من أساتذتى شيئاً عن الـكتـاب مما يجعلنى أعتقد أنهم لم يعاـــالجوه ، و لا غرو ، فانه ربما يمكن أن يكون هؤلاء العلماء قـد تأثروا بتلك الدعاية الشنيعة التى قام بها أولئك الذين كانوا يعاندون الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله فكرياً وسياساً ، عبر العالم الاسلامى . . لـكن ما سمعته من أستـاذى الشيخ كريم بخش من الثناء العاطر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب و كتابه « كتـاب

★ و « كتاب الـكبائر » و ألف فى سيرته أحمد عبد الغفور العطار ، (راجع لترجمته تاريخ نجد الحديث ص ٢١ ، و آداب اللغـــة ج ٣ ص ٣٣١ ، و الاعلام ج ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨) .

و أما أبوه عبد الوهـاب بن سليمان بن على بن مشرف التميمى النجدى فهو فقيه حنبلى من أهل عينة بنجد ، ولى قضاءهـا ، و انتقل منها إلى حريملاء ، له كتابات فى بعض المسائل الفقهية ، توفى عام ١١٥٣هـ .

راجع عنوان المجد ص ٦ ـ ٨ و الاعلام ج ٤/ ٣٢٣

التوحيد » جعلنى أحسن به الظن و أعتبره داعية إلى التوحيد والسنة و مجاهداً فى سبيل هذه الدعوة كمثل الشيخ إسماعيل الشهيد الذى مضى ذكره آنفا . .

صلتى بهذا الموضوع: ثم بقيت فترة طويلة على ما كنت أعرفه عن الشيخ محمد ، و لم يحصل لى من المعلومات الجديدة عنه شئ مذكور ، حتى ظهر كتاب فى الموضوع فى اللغة الاردية منذ نحو ٣٢ - ٣٣ عاماً فى سنة ١٩٤٦م باسم « محمد بن عبد الوهاب: المصلح المفترى عليه » لمؤلفه الأستاذ مسعود عالم الندوى المرحوم (١) . . والكتاب يتحدث عن حياة الشيخ و مآثره ،

(١) مسعود عالم الندوى من الكتاب الاسلاميين البارعين ، كان أديباً نابغاً ، يجيد الكتابة باللغة العربية و الأردية ، له مؤلفات عديدة منها « تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند » و هو أول من قام بتاليف كتاب فى ترجمة حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى ، كان من أنصار الجماعة الاسلامية المتحمسين ، ولعله أول من قام بتعريفها إلى العالم العربى ، أصدر من دار العلوم ندوة العلماء مجلة عربية باسم « الضياء » تشهد بطول باعه وسعة ذراعه فى اللغة العربية ، توفى فى ١٠ رجب ١٣٧٣هـ - ١٦ - مارس ١٩٥٤م عن ٤٤ سنة .

وضعه المؤلف بمراجعة عدد ضخم من مؤلفات الشيخ ، والكتب التى وضعت فى ترجمته ، أو فى تأييد فكرته و دعوته أو فى الرد عليها ومعارضتها فى مختلف اللغات ، وبذلك فكتاب الأستاذ مسعود عالم الندوى رحمه الله حصيلة دراسية لمئآت من الكتب ، ومهما أمكن القراء أن يختلفوا مع المؤلف فى بعض آرائه ، فانه لا يسعهم إلا أن يعترفوا بالجهود المكثفة التى بذلها فى سبيل البحث والتحقيق و الدراسة التاريخية الموضوعية .

ثم أتيح لى من حين لآخر أن أقرأ كتباً كثيرة صغيرة و كبيرة للشيخ و لبعض رجال أسرته و تلاميذه و أتباعه و أنصاره ، تتحدث عن شخصيته و دعوته فى وضوح و تفصيل ، كما قرأت فى ترجمته مؤلفات لبعض المتحمسين و المناصرين له و لبعض شديدى المناوئين له . و توصلت من هذه الدراسة الموسعة إلى أنه ينحو - فى فكرته و مسلكه - منحى شيخ الاسلام ابن تيمية و تلاميذه كالحافظ ابن القيم و غيره ، إلى حد كبير ، وأنه يقف من الرد على الشرك و محاربته و الدعوة إلى التوحيد الخالص - بفرق يسير - نفس الموقف الذى يقفه الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الشهيد فى كتابه « تقوية الايمان » .

و أكدت لى دراستى هذه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

النجدى رحمه الله قد واجه نفس الموقف – من الافتراء واختلاق أنواع الأكاذيب و الأراجيف – الذى واجه الشيخ إسماعيل الشهيد من المبتدعين و الخرافيين و القبوريين و مقدسى الأضرحة (التى يتخذونها من القصب و من الأوراق فى ذكرى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما)

و بما أن دعوته إلى التوحيد و جهوده الاصلاحيـة كانت تشتمل على الجهاد بالسيف و كان أنصاره و حماته يلقون النجـاح تلو النجاح و يفتحون المناطق إثر المناطق – حتى تغلبوا على الحجاز المقدس و الحرمين الشريفين بالاضافة إلى جميع مناطق نجد – فجعل رجال الحكم و السلطـان و أصحاب الدول و الحكومات المجاورة يستشعرون منهم الخطر ، ويخافون على أنفسهم الدائرة ، مما دفعهم إلى أن يشاركوا الذين يختلفون مع الشيخ عقيدة و تفكيراً من المبتدعين و الخرافيين و الساجدين للقبور ، فى دعايتهم الكاذبة ، و فيما يثيرون حول شخصيته و دعوته من غبار كثيف من المكر و الدهاء ، و من أنه يستهين بشخص الرسول ﷺ و ينتقصه ، و يحمل الضغينة و الحقد و العداء ضـد الصالحين و الأولياء ، و يستحل دماء جميع أفراد الأمة الاسلامية ممن سواه .

مركز الدعاية ضد الحركة الوهابية : و صارت أرض الحجاز مركز دعاية ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى و جماعته — بعد ما أقصت « الوهابيين » قوات محمد على باشا (١) حاكم مصر آنذاك على إيعاز من الحكومة العثمانية فى تركيا فى سنة ١٢٢٧ ﻫ و بعد ما قضت على حكومة آل سعود فى « الدرعية » — و أضحت تشتهر من الحجاز فيما يتصل بالشيخ أمور مستهجنة إن سمعها مسلم فانه لايكره شخصه فحسب، بل يعتبره أكفر الكافرين فى العالم كله.

و بمـــا أن الحرمين الشريفين هما مركز المسلمين الروحى و الدينى ، و مهد الدعوة الاسلامية ، و مهبط الوحى و الرسالة ، و منتجع الحجيج مــن المسلمين فى العالم كلـــه ، يختلف إليها المسلمون ، و لا سيما فى مناسبة الموسم ، فساعد كل ذلك عـــلى

(١) محمد على باشا المعروف بمحمد على الكبير مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ، كان ألبانى الأصل ، و كان أميا تعلم القراءة فى الخامسة و الأربعين مــن عمره ، ولى مصر ١٢٢٠ ﻫ .

له وقائع معروفة مع السعوديين بايعاز من الدولة العثمانية ، كثرت فى أيامـه المعامل و المدارس فى مصر . (راجع محمد على الكبير لشفيق غربان ، و الاعلام لخير الدين الزركلى ج ٧ ص ١٩١ — ١٩٢)

انتشار كل ما يحاك فيهما ضد الوهابيين و النجديين أو يدور حولهم في المحافل و النوادى أو يقال و يكتب فى المؤلفات ، ساعد على انتشاره فى طول العالم و عرضه .. ثم الخرافيون فى كل مكان كانوا يزورون كل ما يتلقون من غيرهم ، و يجعلون من الحبة قبة ، و أعتقد أن ما أسلفته من أسطورة اتخاذ عبد الوهاب للنفق فى داخل الأرض إلى روضـــة النبي ﷺ ، هو الآخر من افتراء الخرافيين و القبوريين فى بلادنا نحن ، لأنى لم أدر بعد أن الأسطورة سمعت فى بلد آخر .

نماذج من الافتراءات و التهم الشنيعة : و من شاء فليقرأ كتاب « خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام » و « الدرر السنية فى الرد على الوهابية » لمؤلفهما الشيخ أحمد زينى دحلان (١) مفتى الشافعية و أحد كبار رجال العلم فى مكة المكرمة المتوفى ١٣٠٤ هـ ، ليتبين مدى الشائعات المكذوبة التى كانت قـــد أخذت نصيبها من الامتداد و الشيوع فى الحرمين الشريفين – و بالتالى فى العالم كله –

(١) أحمـــد زينى دحلان (١٢٣٢ هـ – ١٣٠٤) فقيه مكى مؤرخ ولد بمكة و تولى فيها الافتاء و التدريس و مات فى المدينة ، من تصانيفه « الفتوحات الاسلامية » و « الجداول المرضية » و « خلاصة الكلام » (الأعلام ج ١ ص ١٢٥)

عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب و دعوته و جماعته و أنصاره ، و إلى القارىء قطعة صغيرة من كتاب « خلاصة الكلام فى بيان أمراء بلد الحرام » و ليس ذالك إلا غيضاً من فيض :

« و إذا أراد أحد أن يدخل فى دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين : اشهد على نفسك أنك كنت كافرا ، و اشهد على والديك أنهما ماتا كافرين ، و اشهد على فلان و فلان — و يسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين — أنهم كانوا كفاراً ، فان شهدوا قبلهم ، و إلا أمر بقتلهم ، و كان يصرح بتكفير الأمة منذ ست مأة سنة ، و كان يكفر كل من لا يتبعه و إن كان من أتقى المتقين ، فيسميهم مشركين ، و يستحل دماءهم و أموالهم ، و يثبت الايمان لمن اتبعه و إن كان من أفسق الفاسقين » .

« و كان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة ، حتى إن أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضاً . . حتى إن بعض أتباعه كان يقول : عصاى هذه خير من محمد (ﷺ) لأنها ينتفع بها فى قتل الحية و نحوها ، و محمد قد مات و لم يبق فيه نفع أصلا و إنما هو طارش و مضى » .

« و من ذلك أنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ و يتأذى بسمعها . . » (١)

---

(١) « خلاصة الكلام » ج ٢ ص ٢٣٠ .

و مما قاله الشيخ دحلان فى شأن الشيخ رحمه الله :

« وكان فى أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من أدعى النبوة كاذباً ، كمسيلمة الكذاب (١) ، و سجاح (٢) ، و الأسود العنسى

---

(١) مسيلمة بن ثمامة الوائلى ، يقال فى الأمثال : أكذب من مسيلمة ، ادعى النبوة وكان يضع أسجاعا يضاهى بها القرآن ، و انتدب أبوبكر الصديق لمحاربته خالد بن الوليد على رأس جيش ، و انتهت المعركة بظفر خالد و مقتل مسيلمة فى سنة ١٢ ﻫ .

(راجع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٤ و الروض الأنف ج ٢ ص ٣٤٠ و فتوح البلدان ص ٩٤ - ١٠٠ و الأعلام ج ٨ ص ١٢٥ - ١٢٦)

(٢) سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية من بنى يربوع متنبئة مشهورة كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار ، ادعت النبوة بعد وفاة النبي ﷺ و خرجت من الجزيرة تريد غزو أبى بكر فبلغ خبرها مسيلمة الكذاب فأقبل عليها فى جماعة و تزوج بها و لما بلغها مقتل مسيلمة فأسلمت و هاجرت إلى البصرة و توفيت فيها فى حوالى ٥٥ ﻫ .

(راجع الطبرى ج ٣ ص ٢٣٦ و شرح المقامات للشريشى ج ٢ ص ٢٢٢ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٥٩ و الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١٣٢)

و طليحة الأسدى (١) و أحزابهم ، فكان يضمر فى نفسه دعوى النبوة ، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوى لأظهرها » . (٢)

و الذى وجـــه الشيخ أحمد زينى دحلان إلى الشيخ محمـــد بن عبد الوهـاب فى هذه العبارة و غيرها من التهم الشنيعـة ، لم يحله على كتاب للشيخ أو لأحد من أتباعه .

و إن كاتب هذه السطور يؤكد — فى ضوء دراسته — أنه لا يصح شئ من هذه التهم » و قـد جاء تفنيدها صريحاً فى مؤلفات و كتابات الشيخ ، و المؤلفين الآخرين من أتباعه وسوف يمر كل ذلك بالقراء الكرام فى الصفحات الآتية .

---

(١) طليحة بن خويلد الأسدى من أسد خزيمـــة متنبي ، شجاع ، يقال له طليحـــة الكذاب كان من أشجاع العرب قدم على النبي ﷺ فى وفـد بنى أسد عام ٩ هـ ثم ارتد و ادعى النبوة ، غزاه أبوبكر و سير إليـه خالد بن وليـد فانهزم و فر إلى الشام ، ثم أسلم و وفد على عمر فبايعه واستشهد بنهاوند عام ٢١ هـ .

(راجع ابن عساكر ج ٧ ص ٩٠. و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٦٠ ، وتهـــذيب الأسماء و اللغات ج ١ ص ٢٥٤ ، والأعلام ج ٣ ص ٣٣٢ - ٣٣٣)

(٢) « خلاصة الكلام » ج ٢ ص ٢٢٩ .

و يبدو أن الشيخ دحلان لم يطلع على كتاب من الكتب التى ألفها أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى فى شرح دعوتهم و فكرتهم ، كما أنه لم يشعر بضرورة البحث و التنقيب قبل أن يرميهم بهذه التهم اللاذعة .

وكل ذلك لا يعنى إلا أن أمثال هذه الأراجيف و الأباطيل ضد الشيخ محمـــد و جماعته قد نالت كل نصيبها من الشيوع فى الحرمين الشريفين بفضل المحاولات الموسعة ، التى بذلها المعارضون لهم سياسيا و عقيديا على نشرها و ترويجها ، حتى أصبحت تأخـذ سمـــة التواتر على الصعيد الشعبى ، بما أغنى الكتاب و المؤلفين و الناس أجمعين ، عن أى بحث و فحص لمدى صدقها و واقعيتها لدى التسجيل فى الكتابات أو الترداد فى المحافل و النوادى . . و ذلك لأن عالماً كبيراً كالشيخ دحلان لا يجوز الشك بسهولة فى أنه أبو عذرة هذه المفتريات أو وجهها إليهم عن عمد ، فإن مؤمناً بالآخرة لا يتجرأ على مثل هذا الصنيع ، و الله أعلم بالصواب .

و قد نقل الشيخ زينى فى كتابه « خلاصة الكلام » ما يأتى رواية عن عالم آخر من العلماء المعاصرين له ، و هو الشيخ المفتى عبد الرحمن الأهدل (١) مفتى زبيد :

---

(١) عبـــد الرحمن بن سليمان الأهدل الحسينى ، مؤرخ من ★

« و كان محمـد بن عبد الوهاب يأمر أيضاً بحلق رؤوس النساء اللاتى يتبعنه » (١)

كانت هذه التهمة — بجانب كونها كذبا صريحاً لا رصيد له من الواقع — مما لا يقبله العقل و المنطق أيضاً ، لكن الدعاية المكثفة و المؤامرة المخططة ضد الشيخ محمد — كما أسلفت — خدرتا العقول و ضللتا الرأى العام . حتى أصبح عالم مثل الشيخ دحلان يسيغها و لا يرفضها بل يسجلها فى كتابه للاجيال !

قلت آنفاً إن المسلمين من كل مكان فى العالم يؤمون الحرمين الشريفين بمناسبة الحج ، فكانوا يسمعون و يتلقون ما كان يجرى على الألسنة من الخرافات و الأراجيف ضد الشيخ محمد و جماعته ، فكانوا هم ومثل كتاب « خلاصة الكلام » سبباً قوياً و وسيلة

★ علماء الشافعية من أهل زبيد باليمن ، مولده و وفاته فيها ، من مؤلفاته « السيف اليمانى » « فوائد الفوائد » « العروض الوريف فى أقدام الشريف » « تحفـة النساخ فى شرب التنباك » توفى عام ١٢٥٠
(أبجد العلوم ص ٨٦٥ ، نيل الوطر ج ٢ ص ٣٠ إيضاح المكنون ج ١ ص ٣٧٠ ، الأعلام ٧٩)

(١) خلاصة الكلام ، ج ٢ ص ٢٣٥ .

ناجحة فى ذيوعه فى العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، وطبيعى أنه كان لذلك أسوأ الأثر فى قلوب المسلمين على اختلاف أجناسهم و طبقاتهم حتى صارت كلمة « الوهابية » أخيراً ترادف السباب و الشتم فى الأوساط الدينية .

مدى تأثير المؤامرة الخبيثة ضد الوهابيين : وبما يؤسف له أن قطاعاً عريضاً من أولئك العلماء الذين يتميزون بصحة العقيدة و أصالة الفكر ، و الذين ظلوا يمثلون منهج حكيم الاسلام أحمد(١) ابن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوي و حفيده العلامة إسماعيل بن عبد الغنى الشهيد ، فى الدعوة إلى التوحيد و التمسك بأهداب الكتاب و السنة ، و محاربة عبادة القبور و الأولياء ،

(١) أحمد بن عبد الرحيم الفاروقى الدهلوى المعروف بشاه ولى الله الفقيه الحنفى من المحدثين و شيخ الاسلام و حكيمه و فيلسوفه العظيم عبر التاريخ الاسلامى ، أحيا الله به و بأولاده و تلاميذه علم الحديث و السنة بالهند ، من أهم مؤلفاته « الفوز الكبير » و « حجة الله البالغة » و « البدور البازغة » و « إزالة الخفاء » و « الانصاف » و « عقد الجيد » توفى عام ١١٧٦هـ (راجع لترجمته أبجد العلوم ص ٩١٢ و فهرس الفهارس ج ١ ص ١٢٥ و اليانع الجنى ص ٧٩ و الاعلام للزركلى ١٤٤ - ١٤٥)

و قد لعبوا دوراً قيادياً طليعياً - و لا يزالون - فى مكافحة البدع و الخرافات و الأوهام على كثرتها و اختلاف أنواعها ، أنهم هم الآخرون تأثروا بالمؤامرة العالمية المضللة ضـــد الشيخ و دعوته و أتباعه و أنصاره ، مما يبعث على الاستغراب أن السيد صديق حسن خان (١) - المؤلف الكبير - الذى كان بدوره من أشد

(١) العلامة النواب صديق حسن خان البخارى القنوجى إمام طائفة أهل الحديث ، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة ، فى التفسير و الحديث ، و الفقه و الأصول ، و التاريخ و الأدب ، كان سريع الكتابة ، جيد الخط ، كثير الحياء ، كريم الأخلاق ، سريع الخاطر ، شغوفاً بالعلم ، شديد الاعتناء و الحب لأهله ، مولعاً بنشر العلم و الثقافة ، قد بلغ عدد مؤلفاته ٢٢٠ ، و إذا ضمت إليها الرسائل الصغيرة تبلغ ٣٠٠ ، و كان له سوء ظن بأئمـــة الفقه و التصوف ، و لا سيما الامام أبا حنيفة ، على الرغم من أنه كان يصلى على طريقة الأحناف ، توفى رحمه الله ١٣٠٧هـ وله من العمر أكثر من ٥٩ عاماً .

ولد و نشأ فى « قنوج » بالهند ١٢٤٨هـ ، يقول فى ترجمته نفسه :

ألقى عصا الترحال فى محروسة بهوپال ، فأقام بها وتوطن ، ★

وألد أعداء القبوريين و الخرافيين ، و كان فى طليعة الدعاة إلى التوحيد و السنة و مسلك أهل الحديث . . قد سرد فى عدد من مؤلفاته هذه التهم المفتراة التى كان يثيرها معاندو الشيخ محمد ضده ، و بلغ من كراهيته له إلى أن شعر بحاجة ملحة إلى أن يبرئ نفسه و جماعة أهل الحديث بأسرها ، من الشيخ و من جماعته ، و وضع لهذا الغرض وحده كتاباً باسم « ترجمان الوهابية » فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى .

و كذلك أحد كبار علماء ديوبند ، أعنى الشيخ خليل أحمد السهارنبورى (١) صاحب « بذل المجهود فى حل أبى داؤد » قد

★ وتمول واستوزر ، و ناب و ألف و صنف ، من مؤلفاته العربية ، أبجد العلوم ، و فتح المنان ، و لف القماط ، و عون البارى ، والبلغة فى أصول اللغة ، وغصن البان .

(راجع لترجمة جلاء العينين ص ٣٠ ، و أبجد العلوم ٩٣٩ ، و الأعلام ج ٧ ص ٣٦ - ٣٧)

(١) العلامة خليل أحمد بن مجيد على من كبار مشيخة ديوبند ، يدل على براعتـه و نبوغه فى علم الحديث كتابه البارع « بذل المجهود فى حل سنن أبى داود » فى نحو عشرين مجلداً ، كان يجمع بين العلم و العمل ، هاجر إلى المدينة ☼

اعتبر الشيخ و أتباعه خارجين من أهل السنة و الجماعة (٢) مستنداً إلى بعض عبارات صاحب « ردالمحتار » العلامة ابن عابدين الشامى (٣) المتوفى عام ١٢٥٣ هـ - الذى اعتبر هذه الجماعة الوهابية النجدية من قبيل الخوارج و من لف لفهم ، و ذلك فى عام ١٣٢٥ هـ رداً على السؤال الذى وجهه إليه أحد علماء المدينة المنورة ، و كان السؤال منطويا على ما كان يثيره حول الشيخ محمد

※ المنورة و توفى بها عام ١٣٤٦ هـ و دفن بالبقيع .
(راجع لترجمته نزهة الخواطر ج ٨ ص ١٣٣ - ١٣٦ ، و الكتب الأخرى المؤلفة فى ترجمته)

(١) على حين كان شيخه و مربيه العلامة رشيد أحمد الكنكوهى قد أبدى فى فتاويه مشاعر طيبة و انطباعات حسنة ، بخصوص الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى و جماعته ، و دافع عنه ، و سوف تمر هذه الفتاوى بالقراء الكرام فى ثنايا هذا الكتاب .

(٢) محمد أمين بن عابدين الشامى إمام الحنفية فى عصره مولده و وفاته فى دمشق ، له رد المحتار على الدر المختار ، و المعقود اللآلى ، و الرحيق المختوم ، توفى عام ١٢٥٢ .
(راجع لترجمته الأعلام ج ٦ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ ، و فهرس المؤلفين ص ٢٢٩ و عقود اللآلى ص ٢٣٢)

و حركته أولئك الذين تألبوا على مخالفته و معارضته (راجع « التصديقات » للشيخ خليل أحمد السهارنبوري) و كذلك هناك شخصية أخرى مؤقرة من أفذاذ علماء ديوبند — أعني الشيخ المجاهد حسين أحمد (١) المدني رحمه الله — قال في رسالته : « الشهاب الثاقب » الذي ظهرت منذ زهاء ٧٠ عاماً ، نحو ما قاله الشيخ زيني دحلان في كتابه « خلاصة الكلام » و لكن شيئاً من ذلك لا يعول على دليل .

---

(١) العالم الكبير المجاهد الشيخ حسين أحمد المدني ، كان في طليعة العلماء المخلصين العاملين لوجه الله ، له دور رائع في مطاردة الانجليز من الهند .
ظل نحو ثمانية عشر عاماً يدرس في الحرم النبوي و قضى مدة طويلة في خدمة العلم و الدين بعد ما عاد إلى الهند و هو الذي شغل منصب رئيس هيئة التدريس بعد الامام العلامة أنور شاه الكشميري في دارالعلوم ديوبند ،
قل نظيره في روح التطوع ، و إنكار الذات وهضم النفس ، و العمل لوجه الله ، توفي عام ١٣٧٧هـ ، من مؤلفاته ترجمة حياته ، ومجموعة رسائله ، و الشهاب الثاقب ، وغيرها من الكتب الأخرى البديعة ، (راجع نزهة الخواطر ج ٨ ص ١١٥ - ١١٨)

و أصل القصة يرجع إلى أن الشيخ حسين أحمـد المدنى أقام فى المدينة المنورة - على منورها ألف ألف تحية وسلام - نحو ١٧ أو ١٨ عاماً منذ ١٣١٦ إلى ١٣٣٣هـ ، و هذه الاقامـة الطويلة فى المدينة المنورة ، جعلته يرى فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفس الرأى الذى كان يراه أهل المدينة المنورة . . و إذاً فان الآراء التى أبداها الشيخ المدنى فى « الشهاب الثاقب » ليست هى آراءه بل هى الانطباعات التى كانت تحمله العـامة و الخاصة فى المدينة المنورة ، نحو الشيخ و جماعته ، و كانت تدور فى المحافل و تجرى على الألسنة و تكتب فى الكتب و المؤلفات ، و قـد عرضت نموذجاً من ذلك فى السطور الماضية .

على كل فان الآراء التى أبداها كبار العلماء و المؤلفين فى الهند - أمثال السيد صديق حسن خان ، والشيخ العلامة خليل أحمد السهارنفورى ، و الشيخ حسين أحمد المدنى - بشأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أتباعه مما لا يتفق مع الواقع التاريخى ، إنها فى الواقع إن دلت على شى فانما تدل على مـدى وقع المؤامرة الخبيثة الماكرة التى نسجها أولئك الذين كانوا يعارضون الشيخ على الصعيدين السياسى و الدينى .

وتدل دراسة « البدر الطالع » للعلامة القاضى الشوكانى (١) أن الحقيقة قد صارت ملتوية لديه أيضاً بفعل هـذه الدعاية ، على حين أنه كان أقرب - بالنسبة إلى المساحة المكانية أيضاً - إلى موطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب و مركز دعوته و حركته « نجد » من علماء الهند ، ولذلك فعدم اطلاعه على مؤلفات الشيخ وأفراد أسرته وتلاميذه وأتباعه، شئ يبعث على الاستغراب . . وسوف يطلع القراء على مقتطفات من كتاب القاضى الشوكانى فى الصفحات الآتية من الكتاب .

سبب تأليف هذا الكتاب : وبعد فقد وجه إلى - كاتب هذه السطور - أحد الطلاب بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، أسئلة فيما يتصل بكتابات الشيخ خليل أحمد السهارنفورى و الشيخ حسين أحمد المدنى التى تتعرض

(١) محمد بن على بن محمد الشوكانى من كبار علماء اليمن الميمون من أهل صنعاء، ولد ونشأ باليمن وولى قضاءها ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها عام ١٢٥٠هـ وكان يرى تحريم التقليد، من مؤلفاته « نيل الأوطار » و « البدر الطالع » و « إتحاف الأكابر » « وفتح القدير»، (راجع البدر الطالع ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٥ و نيل الوطر ج ١ ص ٣، والاعلام ج ٧ ص ١٩٠ - ١٩١) .

للشيخ محمد بن عبد الوهاب و حركته ، و التى لا يمدها رصيد من الواقع . . فأحببت أن يكون الرد منى على الأسئلة فى نوع من التفصيل و البسط ، و شئ من إقناع ، و قد تعرضت خلال هذه الاجابة الضافية لخلفيات هذه الكتابات والعبارات ، وأشرت إلى أن كلا العالمين الشيخ خليل أحمد و الشيخ المدنى قد علما قبل وفاتيهما أن التهم التى رميت بها الجماعة الوهابية النجدية من قبل أعدائها و معارضيها ـ و التى من أجلها و على أساسها أبديا آراء سلبية ضد هذه الجماعة ـ ليست من الصحة فى شئ .

و بعد ما أدركا الواقع أعلنا رجوعهما عن آرائهما السابقة ، عن طرق كتاباتهما و تصريحاتهما و سوف يرى القراء تفاصيل ذلك فى الصفحات الآتية من الكتاب .

وقد نشرت هذه الاجابة المفصلة فى مجلة « الفرقان » الشهرية الأردية الصادرة من لكناؤ فى أعدادها الأربعة تباعاً .

ثم تقرر الرأى أخيراً على أن يطبع هذا المقال المنطوى على الاستفتاء و الاجابة فى صورة كتاب مستقل ، و هذه السطور كتبتها كمقدمة للكتاب .

و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل .

و أخيراً فيشكر المؤلف لكل الاخوة الذين كان لهم يد فى

ظهور هذا الكتاب باللغة العربية، ولا سيما الأخ الفاضل الأستاذ نور عالم الأميني الندوي أستاذ كلية اللغة العربية و آدابها في دار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند) الذي قام بنقله إلى اللغة العربية . . و الأخ الأستاذ بدر الحسن القاسمي رئيس تحرير جريدة « الداعي » الصادرة من ديوبند الذي كانت له مساهمة في نقله إلى اللغة العربية .

كما أشكر لزميلنا الفاضل الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامي » و أستاذ كلية اللغة العربية و آدابها ، و المعهد العالي للدعوة و الفكر الاسلامي بدار العلوم ندوة العلماء ، لكهنؤ ـ الهند ، الذي كانت له عناية بالغة باخراج هذا الكتاب في اللغة العربية .

و الله أسأل أن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه ، و يرينا الباطل باطلا فيرزقنا اجتنابه .

محمد منظور النعماني

٢٥/ رجب ١٣٩٨هـ - ٢/ يوليو ١٩٧٨م



الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و أكابر علماء ديوبند

رسالة طالب فى الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة إلى كاتب السطور

« صاحب الفضيلة موضع حبنا وتقديرنا ، مولانا محمد منظور النعمانى ، حفظه الله و رعاه ، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، أرجو أن تكونوا بخير و عافية ، و بعد ، فانه يساورنى منذ مدة تساؤل هام فيما يتعلق بالشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله ، فانى - فى ضوء دراستى و معلوماتى - أعتبره خادماً للدين و العقيدة ، و مصلحاً إسلامياً ، و حامل راية عقيدة التوحيد والسنة ، و أتذكر أنى علمته على هذه الأوصاف من خلال متابعتى لمجلتكم « الفرقان » أيضاً ، بل قرأت فى عددها الخاص عن شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى ، مقالا يؤكد أنه كان من المجددين ، و من ثم لما وجدت أحداً يضلله - خطابة أو كتابة - تأكدت من أنه ليس من أهل الحق ، ومن أولى عقيدة التوحيد الصحيحة ، بل إنه ينتمى إلى الطبقة الواقعة فريسة للبدع و الخرافات .

لكنه أخيراً دلنى أحد أصدقائى على أن الشيخ خليل أحمد السهارنبورى اعتبره خارجا عن « أهل السنة » فى كتابه « التصديقات » وقد نقل فى هذا الصدد عبارة للعلامة ابن عابدين الشامى محالا على كتاب « رد المحتار » مما يدل على أن ابن عابدين هو الآخر كان يرى فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفس الرأى، و قال لى صديق : إن ما قاله الشيخ حسين أحمد المدنى فى كتابه « الشهاب الثاقب » عن الشيخ وجماعته، هو ألذع من هذا، وفعلا قد أتانى صاحبي بالكتابين، فاذا بى أرى الواقع يطابق إخباره..

و ما ثار فى نفسى من تساؤل ملح - بعد ما اطلعت على هذه الآراء لأكابر العلماء فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كان طبيعياً، فرأيت أن أرجع إليكم، لأن إجابتكم عليه ستكون مقنعة مشبعة، وأرى أن تأتى الاجابة منشورة عبر صفحات مجلتكم « الفرقان » تعميماً للفائدة، وحفاظاً عليها من الضياع، و أريد الاجابة بصورة خاصة على النقاط الآتية.

١ - ما هو رأيكم فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ؟

٢ - وإذا كان عندكم من أهل الحق فما هو رأيكم فى كتابات هؤلاء الأفاضل ضد الشيخ ؟ و علام تتأسس ؟ !..

و جزاكم الله خير الجزاء. و السلام عليكم ورحمة وبركاته.

(الجواب)

الأساس الذى يقوم عليه الرأى الحسن
أو الرأى السيء فى شخص ما :

وأول شئ يجب أن نضعه فى الاعتبار فى هذا الصدد ، أن مرد رأى حسن أو رأسئ سيء فيما يتعلق بشخص هو المعلومات التى يحصل عليها المرء عما يتصل به ، وقد تختلف معلومات أناس مختلفين عن شخص ما فتختلف آراؤهم فيه ، و يقع مثل هـــذا الاختلاف بين الأب و ابنه ، و الأستاذ و تلميذه ، وقد اختلف الامام أبو حنيفه و صاحباه : الامامان أبو يوسف ومحمد فى جواز النكاح مع الصابئة و عدم جوازه ، فقال الامام بجوازه ، و قال صاحباه : لا يجوز . . و قد سجلت دواوين الفقه الحنفى هـــذا الاختلاف .

وهذا الاختلاف الذى يدور بين الامام الأعظم و صاحبيه يرجع إلى أن أبا حنيفة كان يرى فى ضوء معلوماته و اطلاعاته أن الصابئين من أمة نبى مبعوث من الله ، و من أهل الكتاب كاليهود و النصارى سواء ، وقد سمح القرآن بالنكاح مع نساء أهل

الكتاب . . بينما كان صاحباه يريانهم فى ضوء اطلاعهما أنهم مشركون كالمجوس و غيرهم ، لأنهم يعبدون النجوم و الكواكب ، و لا يجوز نكاح المسلم مع المشركة .

و كذلك ما نراه من الاختلاف الشديد ، بل التضارب الواضح فى آراء أئمة الجرح و التعديل فيما يتصل برواة الحديث - فراو واحد يصفه أحدهم بأنه ثقة عدل ، على حين يصفه الآخر بأنه كذاب دجال - فان منشأه هو اختلاف المعلومات ، ليس إلا .

وربما اتفق أن عالما جليلا و إماماً كبيراً قد أبدي فى رجل ما عن رأيه الحسن المؤسس على الاعجاب و التقدير ، اللذين استوجبتهما المعلومات التى بلغته عنه ، ثم غير رأيه بغير ما كان يراه من ذى قبل ، لأنه علم أو شاهد خلاف ما كان علمه من قبل . . و هاك ما سرده الامام مسلم فى مقدمة صحيحه من قول الامام عبد الله بن المبارك فى عبد الله بن محرر : « لوخيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرر لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة ، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلى منه » (١)

على كل ، فان رأياً حسناً أو سيئاً فى رجل ما يكون منشؤه

---

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٠ ، طبعة المكتبة الرشيدية ، بدهلى - الهند .

هو المعلومات التى يتلقاها صاحب الرأى عنه . . وجه أحد من الناس استفتاء إلى رئيس جماعة علماء ديوبند و شيخ شيوخهم : العلامة رشيد أحمد الكنوهى ، يشتمل على أسئلة عديدة من بينهما سؤال كان يتعلق بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فكان رد الشيخ الكنكوهى على هذا السؤال بما يلى :

« إنه لا علم لى بما يتصل بعقائد محمد بن عبد الوهاب » (١)

و كان رده على سؤال آخر ، وجهه رجل بمناسبة أخرى ، بشأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه ، و جماعته ، وعقيدته ، و دينه ، من هم « الوهابيون » و ما هو الفرق فيما بين عقائدهم و عقائد الأحناف من أهل السنة ، كان رده كما يلى :

« الوهابيون هم أتباع محمد بن عبد الوهاب ، وكانت عقيدته صحيحة ، و كان حنبلى المذهب ، قد كان يتصف بشئ من الشدة ، لكنه هو و أتباعه صحيحو العقيـــدة ، إلا الذين تجاوزوا الحد و دخلهم الفساد ، و ليس هناك فرق بينهم و بين الأحناف فى العقائد ، إنما الفرق هو فى العمل و التطبيق ، و هو الفرق الذى يوجد فيما بين الأحناف و الشوافع والمالكية و الحنابلة » (٢)

---

(١) « الفتاوى الرشيدية » ج ١ ، ص ٦٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧ .

و هاتان الاجابتـــان المختلفتان على سؤال واحد بشأن رجل واحد ، مغفلتان عن التاريخ ، لكن القياس يحكم بأن الاجابة الأولى ناشئة عن عدم الاطلاع على عقائد الشيخ محمد عبد الوهاب وأحواله و أخباره ، و الاجابة الثانية صادرة عن معلومات حصل عليهـــا الشيخ الـكنكوهى عن طريق مصادر موثوق بها . .

حقيقة يجب أن تكون ملحوظـــة فى شأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

و الحقيقة التى يجب أن تكون ملحوظـــة فيما يتصل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن دعوته وحركته لم تكن مقتصرة على الوعظ والنصح ، والتوجيه والارشاد ، والتصنيف والتأليف ، و الجولات الدعوية ، والتنقلات و الرحلات التبليغية ، بل كانت شاملة للجهاد بالسيف أيضاً . . و كان يرى الساجدين للقبور ، والسائلين منها ، و المتضرعين إليها ، والطائفين حولها ، والناذرين لهـــا ، و الذين يأتون بأفعال الشرك ، مشركين ، كالوثنيين و عباد الأصنام تماماً ، وكان يرى هذه الأفعال كلها شركا كالسجور للاصنام وعبادة الأوثان كلياً ، كما كان يرى التاركين للصلاة - طبق مذهب الامام أحمد بن حنبل - خارجين من الاسلام وكافرين بالله ، وكان رأيه فى هذا النوع من الناس بل فى جميع أولئك الذين يدعون أنهم

مسلمون ولكنهم يقترفون نوعاً من الشرك : أن توضع لديهم أوامر الله و رسوله فى ضوء القرآن و الحديث ، وأن تبذل كل المحاولة فى تقريب أصل الاسلام إلى قلوبهم و أذهانهم عن طريق الحكمة و النصح ، و الحب و الود ، حتى تتم الحجة عليهم ، فان فاؤا إلى الله ورسوله وحدهما فبها و نعمت ، وإلا يجب الجهاد ضدهم إذا كان ذلك فى المستطاع ، و قد نصت على ذلك كتبه و مؤلفاته .

و انطلاقاً من وجهة نظره هذه كان يرى الحاجة ماسة إلى الحصول على السلطة السياسية والحكومة من أجل العمل على إزالة هذا النوع من الشرك و الكفر الذى وقع فريسته « المسلمون » حتى يمكن الرجوع بهم إلى الاسلام الصحيح الأصيل . . وقد حملت حكومة آل سعود (١) بالدرعية ـ إحدى مناطق نجد ـ التى استجابت لدعوة الشيخ محمد بن عبد . عبء تحقيق هذه المهمة السياسية و الحربية على عاتقها ، و لكن القيادة و التوجيه الفكرى فى هذا الشأن ظلت بيد الشيخ ، و خلفه من بعده أبناؤه فى هذه المهمة .

و قد خاض ـ فى هذه السبيل ـ معارك مع معظم الامارات المجاورة ، و كان الانتصار حليفه و النجاح قرينه فى أكثر المعارك حينما كانت حركته تقطع مراحلها الأولى ، مما وسع حدود حكومة

آل سعود بالدرعية ، و ترامت أطرافها ، ثم وفق أن يكسب السيطرة على الحرمين الشريفين ، و استطاع أن يطبق إجراءات إصلاحية حسب وجهة نظره الدينية عن طريق قوة الحكومة ، فحطم القباب على الضرائح ، و اتخذ إجراءات و خطوات حاسمة أخرى عديدة (١) .

و قد واجه فى هذا الشأن معارضة شديدة من علماء مختلف البلاد و الأقطار ، الذين كانوا يختلفون معه فى الموهب و الرأى و وجهة النظر ، و أصدروا ضده فتاوى صارخة ، حاولوا من خلالها أن يفندوا كل ما يعول عليه الشيخ من دليل و برهان . و قد سلك كثير من العلماء فى معارضة الشيخ نفس الطريق الذى سلكه العلماء المغرضون فى الهند ضد العلامة الشهيد الشيخ إسماعيل ابن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى و ضد جهوده و محاولاته فى محاربة البدع و الخرافات ، وكتابه « تقوية الايمان » الذى يضرب

---

(١) و ليراجع للاطلاع على تفاصيل أمثال هذه الاجراءات والاصلاحات كتاب « خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام » ص ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ـ الجزء الثانى ، لمؤلفه الشيخ أحمد زينى دحلان المكى ألد أعداء الشيخ و دعوته و حركته و جماعته .

على جذور كل البدع والخرافات، وينقى عقيدة التوحيد ، ويعرضها بيضاء صافية ، ولا تزال هذه المعارضة ـ التى تمدها النفس والهوى ـ قائمة ، وقد مضى على استشهاده فى سبيل الله نحو قرن و نصف قرن من الزمان .

و كذلك فالحكومات التى كانت بينها و بين حكومة آل سعود ـ التى كان وقودها الحقيقى هو حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و دعوته ـ حروب و اصطدامات ، و جميع الحكومات التى رأت فى هذه الحركة خطراً مدلهماً أسود على نفسها قامت ـ من أجل تعويق سيرها ، و عرقلة تقدمها إلى الأمام ، و لإساءة سمعتها فى العالم الاسلامى ، وإثارة حفيظة الشعوب الاسلامية فى أرجاء الأرض ـ بتوسيع الدعايات الدينية المكثفة ضده عن طريق الأجهزة الرسمية و الوسائل الادارية ، و قد أحرزت بهذا التدبير نجاحاً كبيراً فى تحقيق غرضها .

المفعول المدهش للدعايات السياسية :

و قد جربنا مدى دهاء و شطارة و مكر رجال الدعاية السياسية و الحكومية ، و تجرئهم على الله و رسوله ، و لباقتهم فى تقريب الأراجيف و الأباطيل ، و أنواع المختلقات ، إلى قلوب الجماهير ، قد جربنا كل ذلك و اكتوينا بناره خلال حرب

الاستقلال فى الهند .. إن الذين يعرفون الشيخ المجاهد حسين أحمد المدنى (المتوفى ١٣٧٧هـ) و زملاءه المنتمين إلى « جمعية العلماء » بالهند - و كاتب هذه السطور أحد أولئك السعداء الذين يعرفونهم عن كثب - يعلمون علماً يسوغ لهم أن يقولوا حالفين بالله : إن هؤلاء الأعلام المخلصين كانوا يرون - عن إخلاص أى إخلاص - أن حرب التحرير ضد حكومة الاستعمار الانجليزى « جهاد فى سبيل الله » و من هنا قرروا ، بعد الحرب العالميـــة الأولى (١٤ - ١٩١٨م) و منذ بداية « حركة الخلافة » مناصرة المؤتمر الهندى الوطنى (Indian national congress) ، بل أصبحوا يعملون فعلا كأعضاء فيه ، و قد تحملوا فى هذه السبيل كل أنواع المشاق من الاعتقال و التشريد والنفى .. لكن أناساً من المسلمين أنفسهم قاموا بدعايات قوية ضدهم - ضاربين حساب يوم الدين ، وتقوى الله عرض الحائط - وقد فعلت الدعايات فعلها فى قلوب بعض المسلمين المثقفين المخلصين من أهل الورع والتقوى ، فصاروا يعتقدون أن هؤلاء العلماء المنتمين إلى « جمعية العلماء » يتقـاضون رواتب من الهنادك الأثرياء ، و من هنـــا يقفون صفاً واحداً بجانب المؤتمر الهندى .. أعاذنا الله من رجال الدعاية السياسية !

و على ذلك فان الدعايات التى قام بها معارضو الشيخ محمد

ابن عبـــد الوهاب على صعيد المذهب أو السياسة ، ضد دعوته و جماعته ، نجحت نجاحاً كبيراً ، و يعرف مدى نجاحها كل من له إلمام بتاريخ القرن المـاضى و أحوال المسلمين فيه ، و يستطيع العقلاء أن يدركوا مدى تأثيرها فى الحياة والمجتمع و عقول الناس من أن كلمة « الوهابى » صارت كلمة عار وشنار فى الأوساط الدينية.

قصص تبعث على الاعتبار
و تثير الاستغراب :

إن هناك قصصاً كثيرة مقروءة و مسموعة تدهش الألباب و تستخرج الاستعجاب ، و لا نستطيع أن نأتى عليهـا جميعاً ، و لـكن سأسرد هنا قصتين مررت بهما شخصياً ، و إنهما تبعثـان الأسف و الضحك فى وقت واحـــــد :

الأولى تتصل بتلك الأكذوبة العملاقة التى سردتهـــا فى المقدمة ، و التى كان يتناقلها الناس كحقيقة لا يختلف فيها اثنان ، و قد تسامعت بها و أنا فى ٧ أو ٨ من عمرى ، خلاصتهـا أن رجلا اسمه « عبد الوهاب » النجدى ، قد كان فى منتهى عـــداته للنبى ﷺ حتى اتخذ نفقاً فى داخل الأرض لكى يصل إلى روضة النبى ﷺ ، حتى يستخرج منها جثته المطهرة و يتلاعب بهـــا ، نعوذ بالله من ذلك ، فرأى الملك النبي صلى الله فى المنام أنه ينبهه

على هذه الخطة الخبيثة ، فبحث الملك عن الأمر فوجده مطابقاً لما رآه فى المنام ، و قبض على الرجل ، فضرب عنقه (١).

---

(١) و لا يعزبن عن البال أن الجماهير الجهلة و الدهماء البسطاء، كانوا يعتقدون أن « عبد الوهاب النجدى » هو مؤسس « الوهابية » و هو الذى تولى كبرها ، فكانوا يشفون غليل حنقهم و غيظهم بتوجيه الملام و الشتائم إليه ، و كانوا لا يعرفون أصلا أن الذى هدم القباب على الضرائح ، وحمل اللواء ضد عبدة القبور ، والنذر والذبح لها ، و التضرع إليها ، و السؤال إياها ، و ما إليه من الشرك ، هو فى الواقع ابن الشيخ عبد الوهاب النجدى ، محمد ، الذى يعرف فى التاريخ بالشيخ محمد بن عبد الوهاب. و كان الشيخ عبد الوهاب الحنبلى من كبار علماء و فقهاء عصره ، وقاضى « عيينة » و « حريملا » ، ولكنه ظل يعيش (فى الواقع العملى) فى عزلة - من أجل ما فطر عليه من حب الهدوء والسكون - من الحركة التى قام بها ابنه محمد و من نشاطاته و جده واجتهاده ، و لكى يعيش فى عزلة تامة من كل ذلك هاجر مسقط رأسه « عيينة » إلى « حريملا » لأن « عيينة » صارت مركز دعوة الشيخ محمد وجهوده . . يعرف ذلك كل من له اطلاع على تاريخ هذه الأسرة الكريمة ، وقد قال الشيخ أحمد زينى دحلان - وهو★

و القصة الثانية التى هى أكثر من الأولى استغراباً : هى أن شيخاً طاعناً فى السن من أهل مكة و لم يكن رجلا عادياً بل كان من أهل العلم، قد حكى إلى كاتب هذه السطور مباشرة : أن هذا « الوهابى النجدى » كان يقول فى شأن الكلمة الطيبة : « إيش محمد رسول الله ، كل لا إله إلا الله » .

و من الواضح أن هذه الأكذوبة سوف لا يشك أحد أنها افتراء مبين ، لا رصيد لها من الواقع ، أما اليوم فقد علم كل إنسان ، بل شاهد بعينى رأسه - و لا سيما إذا كان من أهل الحجاز - أن راية هؤلاء « الوهابيين النجديين » مكتوب فيها الكلمة بشطريها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » و أن الكلمة شعارهم و دثارهم ، و أساس حركتهم و دعوتهم ، و تشهد بهذه الحقيقة كتاباتهم و مؤلفاتهم .

و أرى لزاماً على أن أؤكد أن الشيخ المكى المسن الذى تحدث إلى بهذا القول ، أعتقد أنه لم يختلق اختلاقاً من عنده ، ولكنه يكون قد سمع عبر حياته - قبل الحكومة السعودية الحالية

★ أشد معارضى الشيخ محمد وحركته - فى كتابه « خلاصة الكلام » : إن الشيخ عبد الوهاب كان شديد الخلاف لحركة ابنه و دعوته (ص ٢٢٩) . .

فى الحجاز - مثل هذه الأكاذيب، فصارت عنده حقيقة، لأن المعارضين للنجديين فكرياً وسياسياً كانوا يشيعون ضدهم كل نوع من أمثال هذه الأراجيف والزخرف من القول.. والله أعلم بالصواب.

و جملة القول أن هذين النموذجين من الشائعات يدلان فى وضوح على مدى ما كان يقوم به مناوئو الشيخ محمد و حركته من الدعايات المضللة المخدرة، و على عمق تأثيرها على العوام و الخواص فى العالم الاسلامى.

العلامة خليل أحمد وكتابه « التصديقات »:

وبعد هذه التوطئة الموجزة أريد أن آتى على أصل الموضوع:

الحقيقة أن « التصديقات » ليس كتاباً قد قصد العلامة خليل أحمد تأليفه قصداً مستقلا مباشراً، وقصته أن بعض علماء المدينة المنورة قد وجهوا فيما قبل ٧٠ - ٧٢ عاماً فى ١٣٢٥هـ أسئلة مكتوبة إلى الشيخ خليل أحمد عن علماء « ديوبند » و عقائدهم ونظرياتهم و اتجاهاتهم الفكرية و الدينية، وذلك من أجل حادث مؤلم (١) لا يعنينا تفصيله بهذه المناسبة؛ و مجموعة الردود على هذه الأسئلة

(١) إشارة إلى الفتنة التى أثارها رئيس الخرافيين و المبتدعين فى الهند، الأستاذ أحمد رضا خان، التى سيطلع القراء الكرام على بعض تفاصيلها فى الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب.

التى أملاها الشيخ ، و وقع عليها و وافق كبار علماء ديوبند الآخرين ، هى التى طبعت فيما بعد باسم « التصديقات فى دفع التلبيسات » . . و نسرد فيما يلى السؤال الثانى عشر وإجابة الشيخ عليه ، لأن ذلك وحده يتعلق بالموضوع :

س : « قد كان محمد بن عبد الوهاب النجدى يستحل دماء المسلمين و أموالهم و أعراضهم ، و كان ينسب الناس كلهم إلى الشرك ، ويسب السلف ، فكيف ترون ذلك ؟ . . وهل تجوزون تكفير السلف و المسلمين ، و أهل القبلة أم كيف مذهبكم ؟ »

ج : « الحكم عندنا فيهم كما قال صاحب « در المختار » : و خوارج وهم قوم لهم منعة خرجوا عليه (الامام) بتأويل يرون أنه على باطل كفر أو معصية توجب قتاله . بتأويلهم يستحلون دماءنا و أموالنا ، و يسبون نساءنا » إلى أن قال : « و حكمهم حكم البغاة » ثم قال : « و إنما لم نكفرهم لكونه عن تأويل وإن كان باطلا » .

« و قال الشامى فى حاشيته : « كما وقع فى زماننا فى أتباع عبد الوهاب (٢) الذين خرجوا من نجد . وتغلبوا على الحرمين ،

---

(٢) قد جاء فى عبارة العلامة ابن عابدين الشامي رحمه الله أيضاً اسم « عبد الوهاب » مكان « محمد بن عبد الوهاب » ★

و كانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون ، و أن من خالف اعتقادهم مشركون ، و استباحوا بذلك قتل أهل السنة ، و قتل علمائهم ، حتى كسر الله شوكتهم (١) » .

« و أما تكفير السلف ، فحاشا أن نكفر أحداً منهم ، بل هو عندنا رفض و ابتداع فى الدين (٢) » .

و هذه الاجابة لا تدل فى قليل أو كثير على رأى شخصى للعلامة خليل أحمد فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و معتقداته ، ولا على أن الشيخ خليل أحمد قد اتخذ رأياً مستقلا فى ضوء دراسته لكتاب من كتب الشيخ محمد أو أحد من أتباعه . بل يدل على أنه قد اعتمد فى إجابته على بيان السائل الذى كان من علماء المدينة

★ و جاء كذلك فى « التصديقات » أيضاً ، نقلا عن « رد المختار » مما يدل على أن الشامى رحمه الله هو الآخر قد وقع فريسة الخطأ الذى تورط فيه قطاع عريض من الناس ، أى أنهم يفهمون أن مؤسس « الحركة الوهابية » هو الشيخ « عبد الوهاب » لا « محمد بن عبد الوهاب »

(١) در المختار ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢) راجع « التصديقات » ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

المنورة ، ثم وجد فى رأى العلامة ابن عابدين الشامى (١) رصيداً كبيراً من التأييد . . والواقع أنه لو كان أحد على ما نسبه السائل إلى الشيخ محمد من الآراء و الأقوال ، و المواقف و الأعمال ، لكان الحكم الشرعى فيه كما قاله العلامة خليل أحمد فى الاجابة .

وقع الدعايات السياسية و الدينية ضد حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الحرمين الشريفين والبلاد الاسلامية الأخرى :

ولا يغيبن عن البال أن الخصال المذمومة والمواقف السلبية المشار إليها المعزوة إلى الشيخ محمد وبالتالى إلى أهل نجد ودعوتهم كانت حديث المحافل و النوادى فى الحرمين الشريفين بل فى جميع البلاد و الأقطار الاسلامية ، بفعل الدعايات السياسية و الدينية ضدهم ، التى تكررت الاشارة إليها فى الصفحات الماضية ، وما قاله

(١) كان العلامة ابن عابدين الشامى من معاصرى أبناء الشيخ و أحفاده و تلاميذه ، الذين خلفوه فى القيام بدعوته وحركته ، وعبارته المسرودة أعلاه المنقولة من « رد المحتار » تشف عن أن تغلب حكومة آل سعود على الحرمين الشريفين و انحسارها عنهما تما فى حين حياة العلامة الشامى ، و قد صرح الشيخ أحمد زينى دحلان أن سيطرة الحكومة النجدية على الحرمين الشريفين تراوحت فى الفترة ما بين ١٢٢٠هـ و ١٢٢٧هـ (خلاصة الكلام / ٢٣٨) .

الشيخ أحمد زينى دحلان المكى (المتوفى ١٣٠٤ﻫ) - الذى كان من أكابر علماء الشوافع فى عصره - فى كتابه « خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام » - الذى تم تأليفه فى أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر الهجرى - فيما يتصل بالشيخ محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه ، كفيل باثارة حفيظة المسلمين - إذا اعتقدوا صحته - و بعث سخطهم و غضبهم الحنق ، و كل ذلك جعل أهالى الحرمين الشريفين يرون أهل نجد كاليهود و النصارى و المشركين بل شراً منهم .

يقول الشيخ حسين أحمد المدنى رحمه الله - الذى أقام بالمدينة المنورة منذ ١٣١٦ﻫ إلى ١٣٣٣ﻫ - فى كتابه « الشهاب الثاقب » عن موقف العرب ولا سيما أهل الحرمين الشريفين، وهو يتحدث عن الشيخ محمد و عن جماعته .

« إن العرب (و خاصة أهل مكة و المدينة) يبغضون الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى و أتباعه أكثر مما يبغضون اليهود و النصارى و المجوس و الهنادك » (١)

وربما يمكن أن يكون الشيخ خليل أحمد قد تأثر بهذا الجو المكهرب المستعر سخطاً و حنقاً ، و شائعات و أكاذيب ، إذ أنه قد قام

---

(١) « الشهاب الثاقب » ص ٤٧ .

بثلاث رحلات (١) إلى الحجاز من أجل الزيارة و الحج ، فيما قبل ١٣٣٥هـ ، و أتيح له فى هـذه الرحلات المتكررة أن يجالس علماء مكة و المدينة و أعيانهما فى العلم و الدين ، و أن يحادثهم ، و يلابسهم . . و لا نجد دليلا على أنه قد تسنى للشيخ خليل أحمد اطلاع على كتاب من كتب الشيخ محمد أو أى واحد ممن ينتمى إليه و يتشرب دعوته ، أو تمكن من الاجتماع و التحدث إلى علماء جماعته و رجال العلم و الرأى من أتباعه ، و اتخذ الرأى الذى أبداه فى الرد على سؤال بعض علماء المدينة المنورة صادراً عن كل ذلك .

تحول فى موقف العلامة خليل أحمد السهارنفورى من الشيخ محمد النجدى و أتباعه و حركته :

ثم ارتحل الشيخ السهارنفورى بعد ما مضى على كتابة ما جاء فى « التصديقات » من الآراء نحو عشرين عاماً ، إلى الحجاز المقدس ، و استوطن المدينة المنورة ، وذلك فى ١٣٤٤هـ ، حينما كان قد تم استيلاء السلطان عبد العزيز بن سعود - و بالتالى استيلاء الشيخ محمد و جماعته - على الحرمين الشريفين ، و كان

(١) كانت حجته الأولى فى ١٢٩٣هـ ، و الثانية فى ١٢٩٧هـ ، و الثالثة فى ١٣٢٣هـ .

هناك فى المدينة المنورة عالم كبير ولته المملكة السعودية منصب رئيس القضاة ، و هو الشيخ عبد الله بن بليهد (١) ، الذى كان بيته يجاور منزل الشيخ السهارنفورى فى المدينة المنورة ، وحصلت بينهما لقاءات و اجتماعات و محادثات ، و استطاع السهارنفورى أن يطلع على عمق القضية ، و على الموقف الصحيح ، فأبدى فى أتباع الشيخ النجدى و جماعته ذلك الرأى الذى كتبه إلى الأستاذ المرحوم ظفر عليخان(٢) ، فنشره فى صحيفته اليومية الشهيرة « زميندار » يقول الشيخ السهارنفورى فى كتابه الذى وجهه إلى صاحب « زميندا » :

---

(١) عبد الله بن سليمان بن بليهد ، فقيه حنبلى نجدى ، اشتهر بموالاته لحركة الاصلاح و التجديد فى نجد ، كان واسع العلم بالأدب الجغرافى فى شبه الجزيرة ، و بالأماكن الوارد ذكرها فى شعر المتقدمين ، ولى رئاسة القضاء بمكة ، و توفى بها ١٣٥٩هـ ، له رسالة فى مناسك الحج ، (الأعلام للزركلى) .

(٢) الصحفى البارز و الشاعر المطبوع و الأديب الأردى ظفر عليخان ، رئيس تحرير صحيفة « زميندار » كان يمتاز بذكاء حاد ، وقدرة عجيبة على قرض الشعر فى سرعة مدهشة ، و لشعره روعة و جمال ، لعب دوراً بارزاً فى الحركة ضد الاستعمار البريطانى ، و ذاق ألوان التعذيب الذى ★

« إنه تكثر اللقاءات و المحادثات، و تبادل الآراء والأفكار فيما يتصل بالمسائل الدينية ، بينى و بين الشيخ عبد الله بن بلبهد رئيس القضاء الذى يجاور بيته بيتى ، و الرجل عالم دينى كبير ، على مذهب أهل السنة و الجماعة ، يعمل بظاهر الحديث ، ذاهباً مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، مشغوف بمؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ،كثير الرجوع إليها ـ وكلا الامامين من أجلة العلماء عند علمائنا أيضاً ـ شديد الكراهية للبدع

★ ذاقه أبطال التحرير الآخرين ، من الاعتقال و التشريد و النفى ، وله فضل كبير فى إعادة الثقة إلى الجيل الاسلامى المندى ، و إثارة روح النخوة و الاباء فيه ، بشعره ونثره ، وخطابته ومقالاته ، و نشاطاته السياسية ، له مؤلفات عديدة ، وديوان مطبوع ، بالاضافة إلى تراجم بعض الكتب إلى الأردية ، مثل ترجمة كتاب « الصراع بين الدين والعلم » (Confict beitween religion & science) للعالم الأمريكى المعروف « درابر » (John william drapper) و كان الرجل من أولئك السعداء المعدودين الذين تثقفوا بالثقافة العصرية الغربية و لكنهم حافظوا على إسلاميتهم وشرقيتهم ، بل ثاروا عليها ، ونددوا بها ، و وضعوا الأصبع على مواضع الضعف فيها .

و المحدثات ، قد جعل عقيدة التوحيد و النبوة أساس إيمانه وأصل عقيدته ، و بالجملة فانى لم ألمس - إلى حد تتبعى - أى شذوذ عن عقـــائد أهل السنة ، و معظم أهل نجـد يعرفون تلاوة القرآن ، و يكثر فيهم عدد حفاظ القرآن الكريم ، يحـافظون على الصلاة بالجماعة ، وهذه الأيام أيام برد قارس فى المدينة المنورة، ولكنهم يواظبون على الحضور حتى فى صلاة الفجر مع الجماعة . . . وعلى كل فان وضعهم الدينى جيد جداً فيما رأيت وعلمت » . .

رسالة أخرى للشيخ السهانفورى :

و هناك رسالة أخرى للشيخ السهارنفورى فى نفس الموضوع وجهها إلى الشيخ محمد يعقوب سبط العلامة رشيد أحمد الكنكوهى فى نفس الأيام التى وجه فيها رسالته الأولى إلى الأستاذ المرحوم ظفر على خان رئيس تحرير صحيفة « زميندار » و قد نشرتها مجلة « النور » الشهرية فى عددها الصادر فى رجب ١٣٤٥هـ ، وذلك حينما كشفت الجبهة المتحدة للشيعة و أهل البدع فى الهنـــد دعايات قوية ضد المملكة السعودية و أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدى ، و كانوا يمنعون المسلمين من رحلة الحج و الزيارة ، و سيطلع القراء الكرام على تفاصيل ذلك فى طى هذا الكتاب فى الصفحات الآتية إن شاء الله .

على كل فهذه الظروف القاسية المستمرة دفعت الشيخ محمد يعقوب الكنكوهى أن يوجه سؤالا إلى الشيخ السهارنفورى فى المدينة المنورة عن موقف الحكومة السعودية ، فكان الرد على السؤال من السهارنفورى فى رسالة إلى الشيخ يعقوب ، سأسرد منها فيما يلى ما يتعلق بالموضوع :

« أعتقد أن هذه الحكومة (الحكومة السعودية) ميالة إلى الدين بالنسبة إلى هذا الزمان ، و أنها مخلصة فى منجزاتها و أعمالها ، وما تم من المنجزات الكبيرة ليس فيه ما لا يمت - فيما أرى - إلى الدين بصلة ما ، و ما صدر منها من بعض الزلات الصغيرة ، فان ذلك - فيما لمست - يرجع إلى أن الحكومة ينقصها رجال صالحون من أولى الكفاءات الادارية ، مما يسبب تقصيراً فى بعض الجوانب الادارية والتنفيذية ، أما السلطان ابن سعود فانه فى ذاته رجل متدين يتصف بغاية من الحكمة و الحلم ، و لكن الرجل الوحيد لا يستطيع أن يصنع شيئاً مالم تكن عنده أيد عاملة و رجال و أعوان ، و قد بلغ الأمن إلى أن راحلة أو راحلتين تختلف وحدها فيما بين مكة و المدينة المنورة و الينبوع و جدة ، و لا يشكو أحدا خوفاً أو غائلة . أما الشكوى التى تدور فيما بين الجماهير فان مثارها هو تحطيم القباب على القبور والضرائح التى جعلها الجهال بالاضافة

إلى الروافض أساس دينهم وعقيدتهم ، و لكنى أرى أن هدمها كان واجباً ، و لم تقم الحكومة بهذه الخطوة الجريئة إلا بعد الاستفتاء من علماء المدينة المنورة ، و إفتائهم بجواز هذه العملية . . . . . » (خليل أحمد ، المدينة المنورة ، تحريراً فى ١٢ / ربيع الثانى ١٣٤٥هـ) .

إن نظرة على هاتين الرسالتين للشيخ السهارنفورى تدل دلا واضحة على أن ما قاله السهارنفورى فى ١٣٢٥ هـ رداً على سؤال من بعض علماء المدينة المنورة لم يكن أساسه على معلوماته المباشرة و اطلاعه الشخصى على الوضع الصحيح ، و إنما كان عمادة تصريحات السائل و ما شاع فيما بين الناس ، و - إلى حد كبير - ما قاله العلامة الشامى ، لكنه لما تمكن من الاطلاع المباشر ، و دراسة الأوضاع و الأحوال على ما هى عليه ، و مقابلة علماء هذه الجماعة و المسئولين عنها ، و أتباعها من الخواص و العوام ، توصل إلى الرأى الذى أبداه فى الرسالتين المسرودتين أعلاه .

أساس موقف الشيخ حسين أحمد المدنى :

و يرى كاتب هذه السطور أنه كذلك كان شأن الشيخ حسين أحمد المدنى فى موقفه الذى وقفه من الشيخ محمد و حركته ، فقد أسلفت أنه مكث بالمدينة المنورة منذ ١٣١٦هـ - إلى -

١٣٢٣ﻫ ، فسجل فى كتاباته انطباعاته عنه و عن أتباعه — التى توصل إليها فى ضوء تجاربه ، و دراسته لأوضاع المدينة المنورة المستمرة بالدعايات ضد الشيخ و أتباعه — فى كتابه « الشهاب الثاقب » فقد صرح الشيخ المدنى أن العرب و سيما أهل مكة و المدينة كانوا شديدى الكراهية للشيخ محمد و أتباعه ، كثيرى البراءة منهم ، أكثر من اليهود و النصارى و المجوس و الهنود . . ثم إن كتابات الشيخ أحمد زينى دحلان المسمومة (أمثال كتاب « خلاصة الكلام » و كتاب « الدرر السنية ») ضد الشيخ و جماعته — التى قد رأى القراء الكرام أمثلة منها فى مقدمة هذه السطور — و كتابات رجال العلم و القلم العرب الآخرين ، قد ظهرت ، و وقعت بيد كل مثقف و ملم بالقراءة تقريباً . . و أعتقد أن الشيخ أحمد المدنى كانت معلوماته عن النجديين مستفادة من هـذه المصادر وحدها ، مما أورث فى قلبه الكراهية ضدهم كما وقع لكثير من رجال العلم و الفضل و الاخلاص . . و قد تطرق ذهنى — و أنا أكتب هذه السطور — إلى قصة موسى و هارون عليهما السلام التى حكاها كتاب رب العالمين ، إن سيدنا هارون عليه السلام لم يكن مخطئاً فى الواقع ، و لكن سيدنا موسى أخذ بلحيته و برأسه وجره إليه كأنه كان فى الواقع مقصراً فى أداء المسئولية التى نيطت

به ، و استأثر به الغيظ حتى لم يتمكن من دراسة الواقع و استعراض الحقيقة و البحث عن أعماق القضية و أغوارها ، لكنه استغفر ربه و استمطر رحمته حينما اطلع على الحقيقة و دقة الظروف التى كانت تلابس القضية ، فقال : « رب اغفرلى و لأخى و أدخلنا فى رحمتك و أنت أرحم الراحمين » (١) .

الرأى الحق و القول العدل فى القضية
هو ما قاله الشيخ الكنكوهى :

قد أتيح لكاتب هذه السطور دراسة مؤلفات و كتابات

---

(١) و ما أسلفت فى هذه السطور من رأى الشيخ حسين أحمد المدنى رحمه الله فى الشيخ النجدى و أتباعه ، كنت اعتمدت فيه على كتابه « الشهاب الثاقب » و علمت فيما بعد أنه قد أعلن رجوعه عما كتبه فى « الشهاب الثاقب » عن الشيخ و حركته — و ذلك فى بيان نشرته الصحف و المجلات آنذاك — و اعترف بأن آراءه التى أودعها فى « الشهاب الثاقب » عن النجدى تعتمد على ما كان شائعاً عنه و عن جماعته فى الأوساط المدنية و المكية ، و فى العالم الاسلامى ، و على ما كتب ضده معارضوه فى مؤلفاتهم ، و سوف يمر هذا البيان الصحفى بالقراء الكرام فى الصفحات الآتية من هذا الكتاب .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب و عدد من علماء جماعته ، و قد وفق لقراءة بعض المواد فيما يتعلق بترجمته ، كما تمكن من دراسة ما كتبه ضده ألد معارضيه ، فتوصل بعد هذه الدراسة الموسعة إلى أن ما قاله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى فى الشيخ محمد و أتباعه رداً على استفتاء وجه إليه ، يقوم على دراسة واعية لوضعية القضية ، و قد سبق أن سردته فى السطور الماضية ، و أرجو القراء الكرام إعادة القراءة للمرة الثانية :

« الوهابيون هم : أتباع محمد بن عبد الوهاب ، و كانت عقيدته صحيحة ، و كان حنبلى المذهب ، قد كان يتصف بشئ من الشدة ، لكنه هو و أتباعه صحيحو العقيدة ، إلا الذين تجاوزوا الحد ، ودخلهم الفساد ، و ليس هناك فرق بينهم و بين الأحناف فى العقائد ، إنما الفرق هو فى العمل و التطبيق ، و هو الفرق الذى يوجد فيما بين الأحناف و الشوافع و المالكية و الحنابلة (١) » .

حصيلة دراستى لما يتعلق بحركة و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورحمه الله :

حينما صح عزمى على كتابة هذه السطور استأنفت قراءة

(١) مجموع الفتاوى الرشيدية ح ١ ، ص ٦٢ .

المؤلفات و الكتابات التى تتعلق بالموضوع أمثال « كتاب التوحيد » للشيخ محمد بن عبد الوهاب - وهو أهم مؤلفاته فى موضوع دعوته إلى التوحيد و إخلاص العبودية لله ، و اتباع السنة - و رسالته « كشف الشبهات » و كذلك الكتب الأخرى التى وضعت فى ترجمته ، و شرح دعوته و حركته ، فتأكدت - فى ضوء دراسة هذه المواد الغنية - أنه ليس هناك أحد ممن تشرب و تفهم روح الدعوة فى القرآن و سنة الرسول ﷺ إلى التوحيد الخالص النقى ، و خالط حبه شغاف قلبه و كره الشرك و البدع بجميع أشكالهما وأنواعهما كل الكراهية ككل مؤمن مخلص ، لا يتفق - مبدئياً - مع دعوة الشيخ محمد كل الاتفاق ، و إن كان قد يختلف معه فى بعض الفروع و الجزئيات اختلافاً يوجد فيما بين أهل الحق أيضاً ، و إن كان قد يشعر ببعض الشدة فى بعض القضايا الجزئية و فى بعض الآراء الفرعية التى رآها الشيخ .

قد كان الشيخ محمد فى أسلوب تفكيره الدينى يلتقى - مبدئياً - مع شيخ الاسلام ابن تيمية و تلاميذه كالحافظ ابن القيم و من إليه ، و قد كان أكابر أسلافنا يعدونه من كبار أعلام الفكر و الدين فى الأمة الاسلامية (على الرغم من اختلافهم معه فى بعض الآراء و النظريات و القضايا) و كانوا لا يذكرونه إلا بكل صفات

الاكرام و الاجلال ، و قد سردنا فى الصفحات الماضية رسالة الشيخ خليل أحمد السهارنفورى إلى رئيس تحرير صحيفة «زميندار» التى قال فيها عن شيخ الاسلام ابن تيمية و تلميذه النابغة ابن القيم :

« و كلا الامامين من أجلة العلماء عند علمائنا أيضاً » .

و إنهما - كما هو معلوم لدى كل من له إلمام بالعلم و الدراسة - حنبليان فى الفقه ، و لكنهما يتبعان الحديث الصحيح إذا ما وجدا المسألة التى رآها الامام أحمد لا تتفق معه ، و نفس هذا المذهب ذهبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و قد صرح بذلك مراراً و تكراراً فى مؤلفاته و كتاباته ، و هذا الأسلوب من التفكير الفقهى يلتقى - مبدئياً - مع أسلوب التفكير الفقهى لدى شيخ الاسلام و حكيمه أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى - الذى كان من أعلام علماء الأحناف ، و معاصراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - (١) - و يعرف ذلك كل من درس كتب الامام

---

(١) ولد الامام ولى الله الدهلوى ١١١١هـ ، و توفى ١١٧٦هـ ، و ولد الشيخ محمـد بن عبد الوهاب ١١١٥ هـ و توفى ١٢٠٦ هـ ، و كلاهما يشتركان فى الافادة من كثير من علماء المدينة المنورة ، فقد استفادا من الشيخ محمد حياة السندهى ، و غيره .

ولى الله الدهلوى ، أمثال « حجة الله البالغة » و « المسوى » و « المصفى » و « عقد الجيد » و « الانصاف » وما إليها .

الهجمات الدعائية ضد حركة و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و مواجهته لها ، و تفنيده للتهم المفتراة الموجهة إليه :

قد ابتدأت هذه الدعايات المكثفة و القيام بالأراجيف و اختلاق الأكاذيب ضد الشيخ محمد و دعوته ، فى حين حياته ، و قد قام بالرد عليها ، و تفنيدها ، و الدفاع عن دعوته - ككل مؤمن مخلص داعية - تدل على ذلك رسائله تلك التى سردها مترجموه ، فقد كتب - قبل وفاته ابعامين - الأمير غالب بن ساعد (شريف مكة) فى ١٢٠٤هـ إلى حاكم حكومة « الدرعية » السعودية عبد العزيز بن سعود أن يرسل إلى مكة أحداً من علماء جماعته يوضح دعوته و يعرض فكرته عرضاً مفهوماً ، و يجرى النقاش فى الموضوع مع علماء مكة المكرمة ، فأوفد الشيخ تلميذه الشيخ عبد العزيز الحصين بكتابه إلى علماء مكة المكرمة ، و هاكم بعض مقتطفات من الكتاب : « سلام عليكم و رحمة الله وبركاته ، أما بعد فقد جرى من الفتنة ما بلغكم و بلغ غيركم ، و سببه هدم بنيان فى أرضنا على قبور الصالحين ، و مع هذا فنهيناهم عن دعوة الصالحين و أمرناهم باخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه

المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذى على القبور ، كبر على العامة ، و عاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب لا تخفى على أمثالكم . . . فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين ، وأنا على غير جادة العلماء ، و رفعوا الأمر إلى الشرق و الغرب ، و ذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها ، و أنا أخبركم بما نحن فيه . . . . فنحن و لله الحمد متبعون لا مبتدعون على مذهب الامام أحمد بن حنبل . . . . . . و أنا أشهد الله و ملائكته و أشهدكم أنى على دين الله و رسوله ، و أنى متبع لأهل العلم (١) » .

و كذلك هناك رسالة أخرى للشيخ إلى معاصره العلامة عبد الرحمن السويدى العراقى ، رداً على رسالة وجهها العراقى إليه ، و إلى القراء بعض أجزائها :

« إنى و لله الحمد متبع و لست بمبتدع ، عقيدتى و دينى الذى أدين به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة و أتباعه . . . »

و يضيف قائلا :

« و منها ما ذكرتم أنى أكفر جميع الناس إلا من اتبعنى ،

---

(١) « محمد بن عبد الوهاب » لمؤلفه أحمد عبد الغفور عطار ، طبع بيروت ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

و أزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، و يا عجباً ! كيف يدخل هذا فى عقل عاقل ، هل يقول هذا مسلم ؟ . . . . و كذلك قولهم: إنه يقول : لو أقدر على هدم قبة النبي ﷺ لهدمتها . . . »

و يقول فى ختام الرسالة :

« و الحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد و النهى عن الشرك ، فكله من البهتان (١) »

رسالة موسعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب
تسلط ضوءاً كاشفاً قوياً على دعوته وفكرته :

و هناك رسالة أخرى للشيخ إلى أهل القصيم توضح دعوته و تبين حقيقتها ، وترد ما ألصق بها من التهم ، رأيت من المناسب أن أثبتها بكاملها فى هذه المناسبة :

« أشهد الله و من حضرنى من الملائكة وأشهدكم أنى أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة و الجماعة من الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله والبعث بعد الموت ، والايمان بالقدر خيره وشره ، و من الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف و لا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه و تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير

---

(١) نفس المصدر ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا ألحد فى أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى لا سمى له ولا كفوله ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره و أصدق قيلا ، و أحسن حديثاً ، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل: وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، فقال : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين !) (١) والفرقة الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية ، وهم فى باب وعيد الله بين المرجئه والوعيدية ، و هم وسط فى باب الايمان و الدين بين الحرورية و المعتزلة ، و بين المرجئه و الجهمية ، و هم وسط فى أصحاب النبى ﷺ بين الروافض و الخوارج .

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، و أنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله و أمينه على وحيه و سفيره بينه و بين عباده نبينا محمد ﷺ ، و أومن بأن الله فعال لما يريد ، و لا يكون شئ إلا بارادته و لا يخرج شئ عن مشيئة وليس شئ فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر

(١) الصافات الآيات : ١٨١ ، ١٨٢ .

إلا عن تدبيره و لا محيد لأحد عن القدر المحدود و لا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور .

و أعتقد الايمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، و أومن بفتنة القبر و نعيمــه ، و باعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا ، تدنو منهم الشمس ، و تنصب الموازين و توزن بها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ، و تنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه و آخذ كتابه بشماله .

و أومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعــدها أبداً ، و أومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم .

و أومن بشفــاعة النبي ﷺ و أنه أول شافع ، و أول مشفع ، و لا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع و الضلال ، و لكنها لا تكون إلا من بعد الاذن و الرضى كما قال تعالى : « و لا يشفعون إلا لمن ارتضى » (١) و قال تعــالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه (٢) و قال تعـالى : « و كم من

(١) الأنبياء : ٢٨ .   (٢) البقرة : ٢٥٥ .

ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (١) وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، و أما المشركون فليس لهم من الشفاعـــة نصيب ، كما قال تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (٢) .

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا تفنيان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته .

و أومن بأن نبينـــا محمداً ﷺ خاتم النبيين و المرسلين و لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته و يشهد بنبوته ، و أن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفـاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، و أتولى أصحاب رسول الله ﷺ و أذكر محاسنهم و أترضى عنهم و أستغفرلهم و أكف عن مساويهم و أسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى : « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لاخواننـــا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم » (٣)

---

(١) النجم : ٢٦ . (٢) المدثر : ٤٨ . (٣) الحشر : ١٠ .

و أترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء و أقر بكرامات الأولياء و ما لهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسئ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، و لا أخرجه من دائرة الاسلام، و أرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً و صلاة الجماعة خلفهم جائزة، و الجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، و من ولى الخلافة و اجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، و حرم الخروج عليه، و أرى هجر أهل البدع و مباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة.

و أعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالأركان و اعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية، و هو بضع و سبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن

الطريق ، و أرى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة .

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال ، لتطلعوا على ما عندى و الله على ما نقول وكيل .

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم و أنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم فى جهتكم ، والله يعلم أن الرجل افترى على أموراً لم أقلها ولم يات أكثرها على بالى (فنها) قوله : إنى مبطل كتب المذاهب الأربعة ، و إنى أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شئ ، وإنى أدعى الاجتهاد ، و إنى خارج عن التقليد ، وإنى أقول إن اختلاف العلماء نقمة ، و إنى أكفر من توسل بالصالحين ، و إنى أكفر البوصيرى لقوله يا أكرم الخلق ، و إنى أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها ، وجعلت لها ميزاباً من خشب ، و أحرم زيارة قبر النبي ﷺ ، و إنى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، و إنى أكفر من حلف بغير الله ، و إنى أكفر ابن الفارض و ابن عربى ، و إنى أحرق دلائل الخيرات و روض الرياحين و أسميه روض الشياطين ، جوابى عن هذه المسائل أن أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقبله

من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين ، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور ، قال تعالى : « إنما يفترى الكــذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » الآية (١) بهتوه ﷺ بأنه يقول إن الملائكة و عيسى و عزيراً فى النـار ، فأنزل الله فى ذلك : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنهـا معبدون » (١)

وأما المسائل الأخر وهى أنى أقول : لا يتم إسلام الانسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله وإنى أعرف من يأتينى بمعناها ، و أنى أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك ، و إن الذبح لغير الله كفر و الذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق و أنا قائل بها ، ولى عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ، و من أقوال العلماء المتبعين كالأئمة الأربعة ، و إذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها فى رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى .

ثم اعلموا و تدبروا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الآية (٣) (٤)

---

(١) النحل : ١٠٥ . (٢) الأنبياء : ١٠١ . (٣) الحجرات : ٦ .
(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الخـامس : الرسائل الشخصية ملتزم الطبع و النشر جامعـة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ص : ٨ إلى ١٣ .

و أمثال هذه المعانى تشتمل عليها كثير من رسائله التى ساقها مترجموه .

رسالة مسقلة للشيخ عبد الله بن محمد فى إيضاح الدعوة ، و الرد على الافتراءات و الدعايات :

و هناك رسالة مستقلة شاملة وضعها عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - فى ١٢١٨هـ ، حينما تمت السيطرة للحكومة السعودية لأول مرة على مكة المكرمة ، تلقى الضوء الساطع على دعوة و حركة الشيخ محمد ، و تفند الافتراءات والأراجيف ضدها على أساس متين من البراهين اللامعة ، سنقدم فيما يلى بعض مقتطفاتها الهامة :

« فأخبرناهم بأن الذى نعتقد و ندين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة فى أصول الدين ، وأما فى الفروع ، فنحن على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر من قلد الأئمة الأربعة ، و لا نستحق مرتبة الاجتهاد ، و لا أحد منا يدعيه ، إلا أن فى بعض المسائل إذا صح ، لنا نص جلى من كتاب الله أو السنة غير منسوخ و لا مخصوص ، ولا معارض بأقوى منه ، و قال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به ، و تركنا المذهب ، وقد سبق من أئمة المذاهب الأربعة اختيارات لهم فى بعض المسائل

مخالفة لمذهب الملتزمين تقليد صاحبه » (١)

« وأما ما يكذب علينا ستراً للحق وتلبيساً على الخلق : أنا نضع من رتبة محمد ﷺ بقولنا : النبي رمة فى القبر ، و عصا أحدنا أنفع له منه ، وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، و أنا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب لكونه فيها الحق و الباطل . . وأنا مجسمة . . و أنا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا و من الستمائه سنة إلا من هو على ما نحن عليه . . ومن فروعه أن لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركا و أن أبويه ماتا على الشرك بالله . . و أننا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ . . ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً . . إلى غير ذلك . . فجميع هذه الخرافات و أشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا فى كل مسألة من ذلك « سبحانك هذا بهتان عظيم » (٢)

و يقول بعد سطور :

« و الذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق ، و أنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ

---

(١) الهدية السنية ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الهدية السنية ، ص ٤٠ - ٤١ .

من حياة الشهداء، للنصوص عليها فى التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلاريب، و إنه يسمع سلام المسلم عليه، و تسن زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة والسلام، الواردة عنه، و إذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، و من أنفق نفيس أوقاته بالصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام الورادة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين، وكفى همه وغمه، كما جاء فى الحديث عنه» (١).

«ولا ننكر كرامات الأوليا، و نعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم، مهما ساروا على الطريقة الشرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات، لا حال الحياة ولا بعد المهات، بل يطلب من أحدهم الدعاء، بل ومن كل مسلم» (٢)

و يقول بعد سطور:

«و نثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسبما ورد، وكذا نثبتها لسائر الأنبياء و الملائكة و الأولياء و الأطفال حسبما ورد أيضاً، و نسألها أيضاً من المالك لها، و الاذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها، كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعاً إلى الله تعالى: «اللهم شفع فينا محمداً ﷺ يوم القيامة» أو «اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك»

---

(١) نفس المصدر، ص ٤١. (٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

أو نحو ذلك مما يطلب من الله، لا منهم، فلا يقال: «يا رسول الله أو ولى الله أسألك الشفاعة.. أو أغثنى، أو اشفع لى، و انصرنى على عدوى، و نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله لأن جميع ذلك من أقسام الشرك» (١)

و بهذه المناسبة قد أثار المؤلف سؤالا عما إذا كان طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ نوعاً من الشرك (٢)، بقوله:

«فان قال قائل: يلزم من تقريركم و قطعكم فى أن من قال: يارسول الله ﷺ أسألك الشفاعة أنه مشرك مهدر الدم - أن يقال بكفر غالب الأمة، و لا سيما المتأخرين، لتصريح علمائهم المعتبرين أن ذلك مندوب»

ثم أجاب المؤلف على هذا السؤال بقوله:

«قلت: لا يلزم ذلك لأن لازم المذهب ليس بمذهب، كما هو مقرر، و مثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة و إن قلنا بجهة العلو، كما ورد الحديث بذلك»

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢) و سيطلع القراء الكرام على مذهب علمائنا فيما يتصل بطلب الشفاعة من رسول الله ﷺ فيما يأتى من هذا المقال إن شاء الله.

« و نحن نقول فيمن مات : تلك أمة قد خلت ، و لا نكفر إلا من بلغتــه دعوتنا للحق ، و وضحت له الحجة ، وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الاشراك »

« و نعتذر عن من مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ ، و الاجماع فى ذلك ممنوع قطعياً » .

« فان قلت هــذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه فما القول فيمن حور الأدلة و اطلع على كلام الأئمة القدوة ، و استمر مصراً على ذلك حتى مات .

« قلت : و لا مانع أن نعتذر لمن ذكر ، و لا نقول : إنه كافر ، و لا لما تقدم أنه مخطئ و إن استمر على خطئه بعدم من يناضله فى هذه المسألة فى وقته بلسانه و سيفه و سنانه ، فلم تقم عليه الحجة ، و لا وضحت له المحجة » .

« هذا وقد رأى معاوية و أصحابه منابذة أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه بل و قتاله و مناجزة الحرب ، وهم فى ذلك مخطئون بالاجمــاع ، و استمروا فى ذلك الخطأ ، و لم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعاً بل و لا تفسيقه ، بل أثبتوا له أجر الاجتهاد و إن كانوا مخطئين ، كما ذلك مشهور عن أهل السنة .

و أضاف المؤلف قائلا :

« و نحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته ، و شهر صلاحه و علمه و ورعه وزهده ، و حسنت سيرته ، و بلغ من نصحه الأمة يبذل نفسه لتدريس العلوم النافعة و التأليف فيها ، و إن كان مخطئاً فى هذه أو غيرها ، كابن حجر الهيثمى (المتوفى ٩٧٤ ﻫ) فانا نعرف كلامه فى « الدر المنظم » و لا ننكر سعة علمه ، لهذا نعتنى بكتبه كـ « شرح الأربعين » و « الزواجر » و غيرهما ، و نعتمد على نقله إذا نقل ، لأنه من جملة العلماء المسلمين » (١) .

و يقول فى ختام هذه الرسالة ، و هو يتحدث عن مذهبه و منهجه و موقفه من الشيخين ، ابن تيمية و ابن القيم :

« عندنا أن الامام ابن القيم و شيخه إماما حق من أهل السنة ، و كتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلا أننا غير مقلدين لهم فى كل مسألة ، فان كل أحد يؤخذ من قوله و يترك ، إلا نبينا محمد ﷺ ، و معلوم مخالفتنا لهما فى عدة مسائل : منها طلاق الثلاث بلفظ واحد ، فى وقت واحد ، فاننا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة » (٢) .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، بحذف و اختصار .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

و ينهى رسالته بقوله :

« و لاننكر الطريقة الصوفية ، و تنزيه الباطن من رذائل المعاصى المتعلقة بالقلب و الجوارح ، مهما استقام صاحبها على القانون الشرعى و المنهج القويم المرعى ، إلا أننا لا نتكلف له تأويلا فى كلامه ، و لا فى أفعاله ، و لا نعول و نستعين ونستنصر و نتوكل فى جميع أمورنا إلا على الله تعالى ، و هو حسبنا ونعم الوكيل ، و نعم المولى و نعم النصير ، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم » (١) .

إصابة رأى الشيخ رشيدأحمد الكنكوهى فى الشيخ محمد و دعوته و أتباعه :

هذه المقتطفات الموسعة التى قدمتها إلى القراء الكرام فى الصفحات الماضية من رسائل الشيخ محمد و رسالة ابنه عبد الله ،

(١) الهدية السنية ص ٥٠ . و رسالة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى - التى قدمنا منها مقتطفات موسعة - مندرجة فى مجموع الرسائل التى تشرح دعوة الشيخ محمد و مبادئها ، المسمى بالهدية السنية ، و أمامنا طبعته الثانية التى نشرها العلامة المرحوم رشيد رضا صاحب « المنار » مع تعليقاته من مطبعة المنار بمصر ، فى ١٣٤٤هـ .

فى تسليط الضوء على دعوتهما و مذهبهما (و قدتم تأليف هذه الرسالة منــذ نحو قرنين إلا الربع فى ١٢١٨ ﻫ من أجل إيضاح الدعوة و إزالة الغبار عن لجينها الصافى أمام علماء المذاهب الأربعة وأتباعها من المسلمين فى بلد الله الحرام) تؤكد رأى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى فى الشيخ محمد و أتباعه الذى أبداه من خلال رده على الاستفتاء الذى وجهه إليه أحد الاخوة بقوله « كانت عقيدته صحيحــة و كان حنبلى المذهب » كما تقرر فى كل وضوح و جلاء أن مذهبه و منهجه الفكرى هو ما تسير عليه من أهل السنة و الجماعة تلك الطبقــة التى يمثلها شيخ الاسلام ابن تيمية الحرانى الدمشقى و تلميذه العلامة ابن القيم ، و إن إمام علمائنا حكيم الاسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى كان يشابهه إلى حد بعيد فى المنهج الفكرى ، و يعترف بجلالة قدره و عظمته و مكانته العلمية و الدينية .

التجانس فيما بين دعوة و حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
و دعوة الشيخ العلامة محمد إسماعيل بن عبد الغنى الشهيد :

و كذلك تدل هذه المقتطفات و دراسة مؤلفات هؤلاء العلماء النجديين الأخرى ، مثل « كتاب التوحيد » وغيره ، تدل دلالة صارخة على أن موقفهم من إخلاص التوحيد لله ، و إفراد العبودية

له ، و الاصرار الأكيد على متطلباته ، و الجهاد بكل طريقة ممكنة ضد عبادة القبور و الأضرحة و السجدة لسدنة القبور و الأولياء و الأرواح ، و النذر و الذبح ، و تقديم القرابين ، وما إليه من أنواع الشرك و أشكاله التى تفوق الحصر (و التى عمت فى المسلمين بجهود من شياطين الانس و الجن) هو نفس الموقف الذى - أو قد يكون موقفهم أشد و أعنف - يقفه أحد أئمة جماعتنا و علمائنا العلامة محمد إسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى (الشهيد فى سبيل الله فى ١٢٤٦هـ) فى كتابه « تقوية الايمان (١) » . .

بين « تقوية الايمان » و « كتاب التوحيد » :

ومن أجل هذا التجانس الكبير بين دعوة الشيخ محمد ودعوة العلامة إسماعيل ، ادعى كذباً و افتراء ، أعداء الشيخ محمد إسماعيل - الذين كانوا فى الواقع أعداء دعوته إلى التوحيد و التمسك بالسنة - و فى طليعتهم فضل رسول البدايونى (٢) ، أحد أئمة المبتدعين فى

(١) و قد ظهرت ترجمته العربية بقلم زميلنا الفاضل الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى باسم « رسالة التوحيد »

(٢) فضل رسول بن عين الحق شاه عبد المجيد العثمانى ، ولد فى ١٢١٣هـ ، كان عالماً جدلياً . شديد التعصب فى المذهب ★

الهند، أن كتاب «تقوية الايمان» هو ترجمة أردية لكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و قال بعضهم: إن الأول شرح للثانى، و تحدثوا بذلك طويلا، و أشاعوا به كثيراً، يقول فضل رسول البدايونى فى كتابه «سيف الجبار»:

«وقع بيد محمد إسماعيل فى مدينة «مراد آباد» (١) نسخة من «كتاب التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب النجدى، فأعجب به، فوضع كتابه «تقوية الايمان» وكأنه شرح لكتاب التوحيد» (٢)

و قد أسلفت أن الكتابين «كتاب التوحيد» و «تقوية الايمان» يدوران حول موضوع واحد، و هو الدعوة إلى

★ دائم الصراع مع العلماء المخلصين، أبعد خلق الله عن السنة، شديد الانتصار للبدعة. كان يكفر الشيخ إسماعيل الشهيد، و يطعن فى الامام ولى الله الدهلوى، و الذى أبرز شأنه و أعلى مكانه بين المبتدعين الهنود، أنه كان ألد أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته، وكتابه «البوارق المحمدية» أفرده للنيل من الشيخ النجدى وأتباعه و تكفيرهم، مات عام ١٢٨٩.

(١) مدنية تجارية كبيرة فى ولاية أترابراديش ـ الهند ـ

(٢) «سيف الجبار» لفضل رسول البدايونى، ص ٩٥ طبع ١٢٧٨م، فى الأردية.

التوحيد ، ومحاربة الشرك ، ولكن القول بأن الثانى شرح للأول يدل دلالة واضحة على جهل القائل و غباوته ، و على أنه تسامع باسم كتاب التوحيد فحسب ، و لم يوفق أن يقرأه ، و الواقع أن الكتابين - على الرغم من اتحاد الموضوع و الغاية من وراء تأليفهما - يختلفان كثيراً فى منهج التأليف .

فكتاب « تقوية الايمان » ألف من أجل إصلاح الجماهير من الشعب المسلم الهندى التى وقعت فريسة أعمال الشرك والبدع ، فهو سهل الأسلوب ، قريب المأخذ ، يسير الاساغة و الفهم ، يشتمل على ترجمة أردية لبعض الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية من كتاب « مشكاة المصابيح » مع إيضاح لمفاهيمها وأغراضها فى لغة بسيطة مفهومة لكل طبقات الناس ، فلا يتناول المسائل الدقيقة و الاستنتاج العلمى العميق ، ولا يحيل على شروح الأحاديث ، وتفاسير القرآن . . على العكس من « كتاب التوحيد » الذى كان الغرض من وراء تأليفه ، إقناع العلماء من أهل نجد و الحجاز و الشام و العراق و غيرها من البلاد العربية ، ممن لم تكن قلوبهم تشعر بالفرق الحاسم الفاصل بين التوحيد و الشرك ، بل كانوا يقفون من وراء تقاليد و أعمال الشرك بدلائل علمية كانوا يتصيدونها من هنا وهناك على غير الحق و الصواب - شأن

العلماء المبتدعين عندنا فى الهند - من هنالك جاء « كتاب التوحيد » علمياً يتحدث من المستوى العلمى الرفيع ، ويفسر الآيات القرآنية و يوضح الأحاديث النبوية على الطريقة العلمية التى لا يسيغها إلا العلماء ، مما يدل على أن المؤلف قد أفاد فى تأليفه من دواوين التفسير ، و بجاميع الأحاديث ، و الثروة الغنية من كتب السير و التاريخ ، و كتابات و مؤلفات الأئمة المتقدمين .

و بالجملة فان دراسة « كتاب التوحيد » و كتاب « تقوية الايمان » تؤكد فى وضوح أن الذى زعم أن الثانى شرح للأول ، قد ركب متن الشطط ، و يستحق أن يوفى حقه من الاعجاب و الثناء على هذا التجرء على الافتراء المبين ، و الواقع أن شرح « كتاب التوحيد » فى مثل أسلوب كتاب « تقوية الايمان » لا يتم إلا فى عشرة مجلدات فى سعة كتاب « تقوية الايمان » .

وقد زعم إمام المبتدعين فى الهند أحمد رضا خان البريلوى (١) فى كتابه « الكوكبة الشهابية » أن كتاب « تقوية الايمان »

---

(١) هو إمام الطائفة المبتدعة فى شبه القارة الهندية ، ولد فى مدينة « بريلى » فى ولاية أترا براديش ، فى الهند ، و اشتغل بالعلم و التحصيل ، وبرع فى كثير من الفنون ، و لا سيما فى الفقه و الأصول ، حج مراراً ، و أسند ★

ترجمة لكتاب التوحيد، مما يدل على أنه هو الآخر لم يقرأ كتاب التوحيد، وإنما تسامع باسمه « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله و أولئك هم الكاذبون » .

لكن هناك - كما أسلفنا - تجانساً كبيراً بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و بين الشيخ محمد إسماعيل فى الجهاد ضد البدع

★ الحديث من الشيخ زينى دحلان، كان واسع الاطلاع، غزير المعلومات، حاد الذكاء، بارعاً فى الانشاء و التأليف و التحرير، مسارعاً فى التفكير، متسرعاً متطرفاً فى التكفير، شديد المعارضة دائم التعقب لكل حركة إصلاحية تستند إلى صميم السنة النبوية أو طريقة أهل السنة و الجماعة من أولى العقيدة الصحيحة النقية .

حارب مدة ندوة العلماء، ثم توجه إلى علماء « ديوبند » فكفرهم، و رماهم بأنهم « وهابيون » لدحضهم التقاليد الخرافية، ألف مئآت من الكتب، كلها أو جلها فى الجدل و المناظرة، و حصل على توقيعات علماء الحرمين الشريفين على الرسائل التى ألفها لتكفير « الوهابيين » مات عام ١٣٤٠ هـ و ترك وراءه أمة مبتدعة تتعصب له، و تدندن بآرائه و أفكاره، و تحارب كل من يخالفهم قيد شعرة، و هى دائمة الصراع مع أهل الحق فى شبه القارة الهندية، و أصبحت اليوم توسع نطاقها فى خارج الهند .

و الخرافات و الشرك ، و الدعوة إلى التوحيـــد ، و التمسك بأهداب السنة .

الاختلاف الجزئى بين علمائنا و بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى بعض القضـــايا الفرعية و المسائل الجزئيـــة :

لكن هناك اختلافاً ـ على الرغم من هـذا التوافق و الانسجام بين علمائنا و علماء نجد ـ فى بعض المواقف و القضايا الفرعية بين الشيخ محمد و علماء جماعته و بين علمائنا : العلامة محمد إسماعيل و علماء ديوبند ، فمثلا : إن علماء نجد ـ رغم أنهم يرون زيارة قبر النبى ﷺ من أفضل الأعمال ، كما صرح بذلك الشيخ محمد فى كتاب التوحيد ص ٢٦٨ ـ لا يجوزون القيام بالرحلة إلى المدينة المنورة من أجل زيارة قبر النبى ﷺ وحـدها ، مستنـدين إلى الحديث الشهير « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » كما ذهب إليه شيخ الاسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم ، نعم يجوز عندهم أن يشد المرء الرحل إلى المدينة المنورة ناوياً التشرف بأداء الصلاة فى المسجد النبوى فليسعد بزيارة قبر النبى و الصلاة و السلام عليه بعد الوصول إلى المدينـة المنورة ، أو ينوى الزيارة من خلال نية الصلاة فى المسجد النبوى على صاحبه الصلاة و السلام .

أما علماؤنا فيرون الرحلة إلى المدينة المنورة بنية الزيارة لقبر

النبي عليه الصلاة و السلام رأساً من وسائل التقرب إلى الله ، و السعادة بالأجر و الثواب ، فيرون أن الأحسن أن ينوى المسافر إلى المدينة المنورة زيارة قبر النبي ﷺ و الصلاة فى المسجد النبوى نية مستقلة لكل منهما ،و يقولون إن حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » إنما يتعلق بالنهى عن الرحلة لزيارة مسجد آخر سوى هـذه المساجد الثلاثة (و من أراد التفصيل فعليه بكتب شروح الحديث) .

و كذلك فان الشيخ محمد و أتباعه لايجوزون التوسل بالنبي ﷺ و لا بالصالحين ، أما علماؤنا فيرونه مباحاً (١) ، لأن ذلك فى الواقع هو التوسل بأعمالهم الصالحة ، و التوسل بالأعمال الصالحة جائز بالاتفاق .

نعم : إذا اعتقد جاهل غبي أو غوى أن الدعاء بوسيلة النبي

(١) و قد صرح بجوازه الامام الشهيد محمد إسماعيل فقد قال فى الفصل الرابع من كتابه « تقوية الايمان » « إن قول الجهال : يا شيخ عبد القادر الجيلانى ! شيئاً لله ، لا يجوز ، أما إذا قال أحد : اللهم شيئاً للشيخ عبد القادر الجيلانى ، جاز » .

ﷺ أو بوسيلة عبد من عباد الله الصالحين يكون ضغطاً على الله - نعوذ بالله من ذلك - و أنه يجيبه ألبتة ، أو اعتقد أن الدعاء غير المقرون بهذه الوسيلة من الوسائل مردود عند الله و لا قيمة له عند الله ، فان ذلك ضلال مبين ، و عمل حرام لا يقره أحد من المسلمين .

و على ذلك فان الدخول على الروضة المطهرة ، و الصلاة و السلام على رسول الله مع طلب الشفاعة منه يحرمه الشيخ محمد وسادة علماء نجد و أتباعهم ، بل يرون ذلك نوعاً من الشرك - كما قد سلف نقلا عن رسالة الشيخ عبد الله بن محمد (و لهم فى ذلك وجهة نظر خاصة يمكن الاطلاع عليها بمراجعة كتبهم) ولكن علماءنا - وإن كانوا يتفقون معهم فى أن الأنبياء والأولياء أو الملائكة لا يستطيعون الشفاعة عند الله يوم يقوم الناس لرب العالمين إلا باذن منه - يقولون بجواز طلب الشفاعة من رسول ﷺ يوم القيامة بالحضور على روضته مع الصلاة و السلام عليه ، و لا يرون فى ذلك بأساً ، وذلك أن طلب الشفاعة منه ﷺ لا يعنى أبداً الاعتقاد بأنه ﷺ مختار فى أمر الشفاعة ، و مستبد بها ، يستعملها كيف يشاء و على ما يشاء ، إن هذا الاعتقاد ضلال صريح لا شك فيه « قل لله الشفاعة جميعاً » « من ذا الذى يشفع

عنده إلا باذنه » (١) .

و هناك اختلاف من هذا النوع بين علمائنا و علماء نجد فيما يتصل بخطاب الشعراء لرسول الله ﷺ في صورة الاستغاثة و الاستعانة . . فيقول علماؤنا أن المرأ إذا خاطب رسول الله ﷺ أو طلب الاغاثة و الاعانة منه ﷺ معتقداً أنه حاضر موجود ، و عالم بالغيب يرى و يسمع كل ما يقع ، أوله سلطة التصرف فى أمور الكون ، فان ذلك شرك لا يختلف فيه اثنان ، و لا ينتطح فيه عنزان ، أما إذا كان المرأ صحيح العقيدة ، و لا يؤمن بأن الرسول ﷺ عالم الغيب ، متصرف فى الأكوان ، و موجود فى كل مكان ، لكنه يخاطبه فى أبياته بصفته حاضراً فى الذهن ، موجوداً فى الخاطر - كما هو مطرد فى الشعر ، و متبع لدى الشعراء - أو يعتقد أن الله سيبلغه ﷺ هذا النداء و الخطاب ، فيدعو - عليه الصلاة و السلام - له و يتضرع إلى الرب ليستغفر ذنوبه ، و يقضى حاجته ، فان ذلك ليس من الشرك فى شئ ، و على ذلك يؤولون ما جاء فى أبيات و قصائد البوصيرى (٢)،

(١) و نرجو مراجعة كتاب « تقوية الايمان » الفصل الثالث ، للاطلاع على وجهة نظر علمائنا فيما يتعلق بالشفاعة .

(٢) أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى المصرى ، ★

و الجامى (١) ، و من إليهما ، و هو تأويل فى محله و ليس تأويلا بارداً ، فان مثل هـذا الخطاب و النداء للغائب فى الشعر مطرد مقبول ، و لا سيما فى شعر الحب و الهيام .. ولـكن علماءنا قد ركزوا على التحاشى عن أمثال هـذه التعبيرات و الخطابات ، حفاظاً على عقيدة الجماهير السذج ، لأن فى ذلك عـلى كل حال « إيهاماً بالشرك » . و قد نص على ذلك شيخ مشيختنا العلامة رشيد أحمد الـكنكوهى فى فتاواه (٢) . . لـكن الشيخ محمد بن

★ شاعر حسن الديباجة ، مليح المعانى ، له ديوان شعر ، و اشتهرت قصيدته البردة و سارت بهـا الركبان ، تلك التى قالها فى مدح سيدنا النبى الأعظم محمد ﷺ ، ومطلعها : « أمن تذكير جيران بذى سلم » توفى عام ٦٩٦هـ .

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامى ، ولد فى « جام » من بلاد ما وراء النهر ، كان من كبار العلماء الربانيين ، له تفسير القرآن الـكريم ، و شرح فصوص الحـكم ، و شرح الكافية لابن حاجب ، و الدرر الفاخرة و نفحات الأنس ، يعرف بحبه للنبى ﷺ ، وله فى هذا الشـــأن أبيات رقيقة رائقة مرققة ، تفيض بالحب و الحنان ، و تغذى الروح و تبعث الايمان ، توفى عام ٨٩٨هـ .

(٢) راجع للتفصيل بمجموع الفتـــاوى الرشيدية ، ص ٨٤ ، لشيخنا الامام رشيد أحمد الـكنكوهى .

عبد الوهاب و أتباعه لا يفرقون فى هذه القضية هذا التفريق ، بل يرون الخطاب لرسول الله ﷺ و لأى إنسان آخر قد مات شركاً فى كل حال . .

وربما كان هذا الموقف من علماء نجد فى أمثال هذه القضايا هو الذى عبر عنه العلامة رشيد أحمد الكنكوهى فى فتاواه بشدة الطبيعة .

و كذلك وقع الخلاف بين علمائنا و علماء نجد فيما يتصل بتكفير تارك الصلاة وعدم تكفيره ، فان علماء نجد يعدونه كافراً صريحاً ، ولكن علماءنا ـ رغم أنهم يرونه فاسقاً ، مرتكباً لجريمة كبرى ، مستحقاً لعقاب شديد ـ لايرونه كافراً ، مارقاً من الدين ، وقد أسلفنا هذه المسألة فى الصفحات الماضية ، و أسلفنا أن الامام أحمد بن حنبل من بين الأئمة الاربعة ، وبعض الأئمة الآخرين أيضاً ذهبوا إلى أن تارك الصلاة كافر مارق من الاسلام .

على كل فأى قضية من هذه القضايا المختلف فيها فيما بين علماء نجد وعلمائنا ليس مما يفسق به فريق من الفريقين ، أو يعتبر مارقاً من الدين ، أوخارجاً عن دائرة أهل السنة و الجماعة .

وإنما سردت بعض هذه المسائل الفرعية التى يختلف فيها علماؤنا

مع الشيخ محمد بن الوهاب النجدى و أتباعه ، لكى يتبين القارىء نوعية ودرجة الخلاف بين الشيخ محمد وبين علمائنا . وحتى يدرك رجال العلم خاصة أن أيا من الفريقين لايمكنه أن يكفر الآخر أو أو يفسقه أو يضلله — إذا كان فى القلب إسلام و إيمان — من أجل اى مسألة من هذه المسائل .

أما الدلائل و البحث العلمى ، و التحقيق و التنقيح ، فقد وضع العلماء الكبار و المحققون العظام من العرب و العجم - من أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية و تلاميذه النجباء ، و معارضه المعاصر العالم الجليل الشيخ تقى الدين السبكى الشافعى ، و العلماء الذين يشاركونه فى الرأى و المذهب . . . إلى الشيخ أحمد زينى دحلان المكى (فى القرن الرابع عشر الهجرى) و الشيخ بشير أحمد السهسوانى الهندى ، والشيخ نواب صديق حسن خان القنوجى والعلامة الكبير عبد الحى الفرنكى محلى اللكهنوى (١) ، والشيخ

---

(١) هو العلامة الفقيه الحنفى الكبير عبد الحى بن أمين الله ابن محمد أكبر بن أبى الرحم بن محمد يعقوب بن عبد العزيز بن محمد سعيد بن الشيخ الشهيد قطب الدين الأنصارى السهالوى اللكهنؤى الفرنكى محلى ، ولد فى ١٢٦٤هـ ، و تخرج فى العلوم والفنون و هو فى ١٧ سنة من عمره . . كان متبحراً فى العلوم ، مطلعاً على دقائق ★

محمد بن عبد الوهاب وعلماء مذهبه ، وكثير من العلماء الآخرين إلى يومنا هذا — عبر مسافة تمتد على نحو سبعة قرون — وضعوا من الكتب و المؤلفات ما إذا أخذنا منه نسخة نسخة فستتكون بها مكتبة ضخمة و من هنا فلا يرى كاتب هذه السطور أن يجعل أحد — بعد ذلك كله — أمثال هذه المسائل موضوع البحث العلمى و الجدال و النقاش ، فقد اختلف فيها آراء و مذاهب علماء الطبقات المختلفة من أهل السنة و الجماعة ، و إنى على إيمان كامل بأن فريقاً من هؤلاء سوف لا يستحق العقاب عند الله من أجل هذا الخلاف ، و الله عليم حكيم .

علماء نجد وعلماء ديوبند جميعاً يحملون لواء الدعوة إلى التوحيد و السنة ، و الجهاد ضد الشرك والبدع بأشكالها وصورها :

إن الحديث عن الاختلاف الجزئى بين علماء نجد و علماء ديوبند فى بعض القضايا والمسائل الفرعية ، كان كجملة معترضة

★ الشرع ، خطيباً ، مؤلفاً كبيراً ، ذا ذكاء عجيب ، و ذاكرة قوية ، له اليد الطولى فى الفقه و الأصول ، و البراعة فى التدريس و التعليم ، ألف وصنف فى كل من المعقول و المنقول ، والفقه و الحديث و الأصول ، مجموع فتاواه فى ثلاثة مجلدات ، توفى ١٣٠٤هـ و هو فى ٣٩ سنة من عمره (راجع نزهة الخواطر ج ٨) .

فيما بين الجمل المقصودة ، فلنأت على أصل الموضوع :

إن دراسة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء جماعته تجلي الحقيقة ولا تدع مجالا للشك فى أن دعوة الشيخ محمد كانت تهدف - أصلا إلى إخلاص التوحيد ، والعض على السنة بالنواجذ ، و الجهاد بكل طريق ممكن ضد الشرك و البدع ، بأنواعهما ، وعرض الاسلام فى صورته الأصيلة نقياً خالصاً صافياً . . وبالجملة كانت رسالته مبدئياً هى نفس الرسالة التى تقدم بها الشيخ محمد إسماعيل إلى الطبقة المنحرفة من المسلمين الهنود من خلال كتابه « تقوية الايمان » وقد حمل لواءها من بعده علماء ديوبند من أمثال الشيخ الامام محمد قاسم مؤسس الجامعة الاسلامية دار العلوم ديوبند ، وزميله العظيم العلامة الامام رشيد أحمد الكنكوهى ، و تلاميذهما ومن خلفهما فى الدعوة والمهمة من ألوف العلماء والأفاضل .

ومن هنالك رماهم علماء « بدايون » و « بريلى » (١) من الدعاة المتحمسين إلى البدع و الخرفات و الواقفين من ورائها بكل

---

(١) مدينتان كبيرتان فى ولاية « أترابراديش » الهند ، من مراكز البدع و الخرافات ، أنجبتا عدداً هائلا من العلماء الذين احتضنوا الدعوة إلى الخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان .

وسائل و أمكانيات « بالوهابية » ودعاهم « وهابيين » (١) لكى يثيروا سخط الجماهير الجهلاء ضدهم و يكسبوا ودهم وولاءهم ، وذلك أن دولا عـــديدة — كانت تستشعر من « الحركة الوهابيـــة » و الوهابيين » (الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أتباعه) خطراً كبيراً على كيانها ، إذ أنها رأت أنهم فى ازدياد مستمر ، قوة نفوذ ، و روح جهاد ، وثقلا سياسياً — و بجانبها طوابير أنصار البدع و الخرافات و عباد القبور و الأضرحـــة و أشياعهم من علماء السوء ، قد ركزت كل إمكانياتها و وسائلها المتاحة على القيـــام بالدعايات الكثيفة ضد « الوهابيين » والحركة الوهابية (على حد تعبيرهم) فى العالم الاسلامى كلـه من شرقـه إلى غربه ، حتى صار المسلمون فى كل مكان - بل وبعض الخواص من العلماء المخلصين أيضاً الذين لم يكن لهم اطلاع على الموقف - يعزون « الوهابيين » أسوأ من اليهود و النصارى و المجوس و الهنود .

وكل ذلك جعل المخلصين من المسلمين من أولى العقيدة الصحيحة

---

(١) و إن كان هذا الانتماء الكريم لاغضاضة فيه ، لكـــنى إنما ذكرت دلالة على أن الخرافيين اتخذوا كلمة « الوهابى و « الوهابية » كلمة سبة وعار يرمون بها من يعارضونهم و يخالفونهم فى الرأى و العقيدة .

أيضاً يقعون فريسة سوء الفهم و يتبرأون من الشيخ محمد وأتباعه بل و يبدون الكراهية و التقزز منهم ، ظناً منهم أن ذلك من متطلبات الايمان و الاسلام و الحب لله و لرسوله عليه الصلاة و السلام .

الدعايات ضد الشيخ محمد ووقعها في قلوب بعض المخلصين :

و لا أدل على دقة الموقف من أن الشيخ نواب صديق حسن خان القنوجي - و هو في طليعة الدعاة المتحمسين إلى مذهب أهل الحديث في الهند ، و له دور بارز في بث هذا المذهب و تثبيته في الهند - رأى من الواجب أن يبرىء جماعة أهل الحديث من الشيخ محمد و دعوته و حركته و منهجه ، بل أن يقدح فيه و يعتبره من المفسدين في الأرض ، و قد ألف لهذا الغرض وحده كتابه « ترجمان الوهابية » و إليك مقتطفات من الكتاب .

يقول في الفصل الثالث تأكيداً على أن طائفة أهل الحديث لا تمت بأي صلة إلى الشيخ محمد و جماعته :

« كان إمام (الوهابيين) ابن عبد الوهاب حنبلي المذهب ، أما أهل الحديث فهم لا يقلدون أي مذهب من مذاهب المقلدين ،

و بين الوهابيين و أهل الحديث بون السماء و الأرض ... إن أهل الحديث (المتبعين للحديث) يتواجدون منذ ١٣٠٠ه عاماً ، وما حمل أحد منهم لواء هذا الجهاد الاصطلاحى (الذى حمله محمد بن عبد الوهاب و أتباعه) ... إن أهل الحديث لا يعرفون الفتنة و الفساد و الغدر و القتل و إراقة الدماء ... فلا نقرأ عنهم فى أى كتاب أنهم قاموا بالفساد والغدر ، على العكس من ابن عبد الوهاب فان كتب العلماء المسيحيين فى تاريخ مصر و غيرها المطبوعة فى بيروت و غيرها حافلة بأحوال إفساده ، و قد نقلت شيئاً كثيراً من هذه الكتب فى كتابى ، حتى يطلع الناس على ذلك ، و يتحرزوا عن طريق الحرب و القتال و الافساد »(١) .

وتحدث فى الفصل الخامس من هذا الكتاب نقلا عن كتابه « التاج المكلل » - وهو يتحدث عن تاريخ « الحركة الوهابية » - عن استيلاء سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود على المدينة المنورة فى ١٢٠٤ه فى أسلوب مسعور يثير الحفيظة ، وكان سعود بن عبد العزيز هذا من الذين تخرجوا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، يقول الشيخ النواب صديق حسن خان :

« ثم ذهب إلى المدينة المنورة ، وفرض الجزية على أهلها ،

---

(١) ترجمان الوهابية (بالأرديه) ص ٣٠ .

و جرد الضريح النبوى المقـــدس ، و نهب الخزائن و الأموال و سحبها إلى « الدرعية » . . و كذلك صنع مع قبرى الشيخين أبي بكر و عمر رضى الله عنهما . . و عزم على هدم قبة الضريح النبوى على صاحبه الصلاة والسلام ، لكنه لم يصنع ذلك ، وأمر أن لا يحج بيت الله إلا « الوهابيون » (١) .

إن هذه المقتطفات من كتاب النواب صديق حسن خان القنوجى « ترجمان الوهابية » تدل دلالة صارخة على مدى تأثير الدعايات الكاذبة ضد الشيخ محمد و دعوته و أتباعـــه التى قام بها أعداؤه و معارضوه على أوسع نطاق ، و بكل أسلوب ، و عن كل طريق ، حتى فعلت فعلها فى قلب عالم كبير حامل لواء الدعوة إلى التوحيد و السنة المحضة مثل الشيخ صديق حسن خان ، فاعتمد على ما دسه المسيحيون فى كتبهم و مؤلفاتهم ضده من سموم ، واتهم الشيخ محمد و علماء نجد بكل الخرافات التى بثها هؤلاء الكتاب المسيحيون فى كتاباتهم . .

دور الانجليز فى مهمة الدعاية ضد الشيخ محمد :

و لا بد أن أسجل بهذه المناسبة أن الانجليز كان لهم دور بارز فى هذه الدعاية ، و قد استغلوا الوضع المعاكس فى الهنـــد

(١) ترجمان الوهابية ، ص ٥٣ .

للشيخ محمد ، و رموا كل من عارضهم و وقف فى طريقهم و رأوه خطراً على كيانهم بالوهابية و دعوهم « وهابيين » فقد أشهروا المحاكمة التى أجروها منذ أكثر من قرن و ١٠ أعوام ضد علماء « صادق بور » الذين كانوا ينتمون الى جماعة الامام أحمد بن عرفان الشهيد (١) ، و الشيخ إسماعيل الشهيد ، بمحاكمة « الوهابيين »

(١) هو الامام النابغ قامع الكفرة و المبتـدعين ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، الشهيد أحمد بن عرفان الحسنى البريلوى ، صاحب الحركة الاسلامية المعروفة ، و كفاحه و جهاده معروف لاستعادة مجد الأمة ، قاد حركة إسلامية عملاقة فى شبـه القارة الهندية ، لم يعرف لها نظير فى الشمول و العمق و الدقة ، و مشابهة الدعوة الاسلامية الأولى - كما يقول سماحة الشيخ الندوى - لا فى قرنه الثالث عشر الهجرى ، بل ولا فى عدة قرون من تاريخ الاسلام و المسلمين ، استشهد فى سبيل الله فى معركة بالاكوت التى كان يقودها هو ضد السيخ و الكفار و الاستعمار ، عام ١٢٤٦هـ ، راجع لترجمته « إذا هبت ريح الايمان » و « الامام الذى لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف » و « سيرة سيد أحمد شهيد » لسماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى ، « و سيد أحمد الشهيد » الكتاب الموسع فى ترجمة الامام بقلم الصحفى الكبير و المؤرخ السلفى الشهير ★

و قد درج الكتاب الانجليز على ذكر هذه المرافقة بهذا العنوان ، و كـــذلك دعا الانجليز علماءنا علماء ديوبند بالوهابيين من أجل معارضتهم السافرة للانجليز و تضييقهم الخناق عليهم . .

و بالجملة فان الدعاية الشيطانية العالمية التى قام بها أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مجال السياسية و الدين و العقيدة و الفكر و الرأى ، قد أثرت تأثيرها المطلوب على القطاعات الدينية و الأوساط الاسلامية التى احتضنت دعوة الشيخ إسماعيل الشهيد - من خلال كتابه « تقوية الايمان » - إلى التوحيـــد الخالص النقى ، و اتباع السنة المحضة

تراجع الشيخ حسين أحمد المدنى عن رأيه :

حينما بدأت أكتب هذه السطور ، قد تذكرت أنى كنت قد قرأت فى إحدى الصحف فى أيام التحصيل منذ ٥٤ - ٥٥ عاماً تصريحـــاً للشيخ حسين أحمد المدنى ، كان خلاصته :

إن الرأى الذى أبديته فى كتابى « الشهاب الثاقب » عن النجديين (الشيخ محمد بن عبد الوهاب و أتباعه) كان أساسه

★ الأستاذ المرحوم غلام رسول مهر ، و « سيد أحمـــد الشهيد » بالانجليزية للأستـــاذ محى الدين عضو المجمـــع الاسلامى العلمى ، لكهنئو - الهند

ما كان شائعـــاً فيما بين الناس ، و ما كان مؤسساً على دراستي لكتاباتهم و مؤلفاتهم ، ومن هنالك فان رأيي هذا ضعيف لا يصح الاعتماد عليه . »

غير أنه لم يكن عندى لذلك دليل أستند إليه ، و كنت أتمنى أن لو تمكنت من الحصول على وثيقة فى هذا الشأن ، وقد أعانى الله الحكيم الكريم من حيث لم أحتسب ، فقد أخبرنى أحد خواص تلاميذ الشيخ حسين أحمد المدنى الأستاذ صبغة الله البختيارى أن شيخنا العلامة حسين أحمد المدنى كان قد أعلن رجوعـــه عن رأيه الذى أبداه فى شأن النجديين فى كتابه « الشهاب الثاقب » و ذلك من خلال بيانه الصحفى الذى أدلى به إلى إحدى الصحف التى نشرته فى ١٩٢٥م ، و هى صحيفة « زميندار » لصاحبهـــا الأستاذ المرحوم ظفر على خان ، وقد نقل عن صحيفة « زميندار » الأستاذ عزيز الدين المرادآبادى هذا البيان فى كتابه بعنوان « أكمل البيان » .

و هنالك رحت أبحث عن « أكمل البيان » و الحمد لله قد فزت به ، فوجدت فيه البيان الذى أدلى به الشيخ المدنى إلى صحيفة « زميندار » فى ١٩٢٥م الذى سيقرؤه القراء الكرام عما قريب .

خلفية تأليف كتاب « الشهاب الثاقب » :

و قبل أن يقرأ القراء التصريح الصحفى للشيخ حسين أحمد المدنى ، أرى جديراً أن يطلعوا على خلفيــة تأليف « الشهــاب الثاقب » حتى يكونوا على بينـة من الأمر ، ذلك الكتاب الذى أبدى فيه الشيخ المدنى فى شأن الشيخ محمد و أتباعه رأياً لا يتفق و الواقع .

قد تحدثت أكثر من مرة ، و فى تفصيل عن إقامة الشيخ المدنى فى المدينة المنورة منذ ١٣١٦هـ إلى ١٣٣٣هـ ، وعن الوضع المكهرب ضد الشيخ محمد فى مكة والمدينة حرسهما الله ، من أجل تكثيف الدعاية من جانب معارضى الشيخ النجدى على صعيد الدين و الرأى والفكر أو السياسية ، حتى صار المسلمون يرون النجديين أسوأ حالا من اليهود و النصارى و المجوس و الهنود مما أثر على الشيخ المدنى ، فأبدى رأيه الذى قرأتموه .

ثم وقع هنـاك حادث مؤلم مضحك ومبك معاً زاد الطين بلة ، وهو أن إمام الطائفة المبتدعة الخرافية القبورية فى الهند أحمد رضا خان البريلوى قد بيت مؤامرة خبيثـة فى كل لباقة لتكفير أجلة العلماء وكبار المحدثين و الفقهاء فى الهنـد من الحاملين للواء التوحيد و السنة (من علماء ديوبند و غيرهم) أمثـال العلامـة

الكبير الامام محمد قاسم النانوتوى ، والمحدث الكبير العلامة رشيد أحمد الكنكوهى ، والعلامة المحدث خليل أحمد السهارنفورى صاحب « بذل المجهود فى حل أبى داؤد » والعلامة الشيخ الكبير أشرف على التهانوى المعروف بـ « حكيم الأمة » (١) .

---

(١) الشيخ الكبير العالم الربانى المعروف بحكيم الأمة أشرف على التهانوى أحد كبار مشيخة ديوبند ، و أعظم مؤلف فى المواضيع الدينية و الاسلامية فى هذا العصر ، يبلغ عدد مؤلفاته حوالى ألف كتاب ما بين صغير وكبير .

كان على مكانة عظيمة فى العلم والاخلاص ، وروح التطوع و إنكار الذات ، له قدم راسخة فى علوم الكتاب و السنة ، و إحاطـة بالأصول و الفروع ، و أما فى الاصلاح و تزكية النفس ، و مراعاة الحكمة و الدقة فى ذلك ، فكان منقطع النظير ، أجمع على الثناء عليه والخضوع لجلالته وفضله ، ودقـة علمـه ونظره ، معظم الشعب الاسلامى الهندى ، لم تنتفع الأمة الاسلاميـة فى شبه القارة الهندية بأحد أكثر مما انتفعت به فى هذا العصر ، قام بدور بارز فى إصـلاح المجتمع الاسلامى ودحض التقاليد الوثنة والخرافية التى تسربت إلى المسلمين ، وأنشأ جيلا مؤمناً واعياً ، وتخرج عليه فى الاحسان و التزكية خلق كثيرون ، و علماء كبار أمثال الشيخ المفتى محمد ★

وقد « أعد » الرجل لذلك « فتوى » باللغة العربية ، وعزا إلى هولاء العلماء عقائد كافرة باطلة ، بتحريف فى بعض عباراتهم باللغة الأردية ، و تحميلها ما شاء من المعانى والمفاهيم باللغة العربية فى لباقة ماكرة لا يحسنها إلا من نسى ربه ، وفقد كل ذرة من الحياء و تقوى الله ، و المروءة و الشهامة ، زعم فى استفتائه - على أساس المعانى التى حملها عباراتهم الأردية بالعربية حسب ما شاء من تحقيق غرضه وشفاء غيظـــه ، و الانتصار لنفسه و بالتالى للشيطان - أن هؤلاء كافرون ، وكل من يشك فى كفرهم وارتدادهم فهو كافر ومرتد كذلك .

قد أعـــد هذه « الفتوى » بالعربية ، و لرفع قيمتها لدى الشعب المسلم الهندى أراد أن يحصل عليها التوقيع من علماء الحرمين الشريفين - زادهما الله تشريفاً - وقد كان متأكداً أن هؤلاء العلماء سيوقعون عليها و يصدقونها ، لأنهم لايعرفون اللغة الأردية وليس لهم علم بالموقف .

★ شفيع المفتى الأكبر بباكستان سابقاً ، و العلامه السيد سليمان الندوى ، و المحدث ظفر أحمد التهانوى ، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوى ، و الشيخ عبد البارى الندوى ، و الكاتب الاسلامى الكبير و المفسر الشهير المرحوم عبد الماجد الدريابادى ، توفى رحمه الله عام ١٣٦٢هـ .

و تحقيقاً لهذا الغرض الخبيث قام فى ١٣٢٣هـ برحلة إلى الحرمين الشريفين ، و كان يعرف مدى كراهية علماء الحرمين « للوهابيين » فأكد لهم - ضرباً على وترهم الحساس ، بالاضافة إلى الحيل الماكرة الأخرى الكثيرة التى قام بها - أن هؤلاء العلماء الديوبنديين الذين أصدرنا الفتوى بكفرهم ، هم من أتباع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، وأنهم يحملون لواء « الوهابية » فى شبه القارة الهندية .

و لاشك أن حيلة أحمد رضا خان البريلوى (بل فى التعبير القرآنى الالهى البليغ الدقيق « كيده » و « مكره ») قد نجحت كل النجاح ، حيث إن علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة قد وافقوا ووقعوا على فتوى التكفير هذه فى كل حماس ، و أشادوا بجهوده فى سبيل هذا « الجهاد التكفيرى » ضد « الوهابيين الهنود »

وتلك هى الفتوى التى طبعها المبتدعون فى الهند فى اللغة الأردية باسم « حسام الحرمين » و وزعوها فى أرجاء الهند ، و صرخوا و هتفوا بأن علماء الحرمين الشريفين أيضاً قد كفروا علماء ديوبند (العلامة محمد قاسم النانوتوى ، والعلامة رشيد أحمد الكنكوهى ، و العلامة خليل أحمد السهارنفورى ، والشيخ أشرف على التهانوى) واعتبروهم مرتدين ، و من لم يكفرهم ، أو يشك فى كفرهم فهو أيضاً كافر يستحق النار .

إن هذه المؤامرة الخبيثة ، و الدعاية الشيطانية قد أوقعت الشعب المسلم الهندى - الذى لم يكن يعرف الحقيقة — فى فتنة عمياء ، مما حتم على علماء ديوبند أن يفندوا التهم التى وجهها إليهم أحمد رضا خان البريلوى ، و أن يجلوا موقفهم ، ويكشفوا الغبار عن مذهبهم حفاظاً على عقيدة الشعب ، و تفادياً به من التورط فى الضلال وسوء العاقبة و المآل ، فقاموا بهذا العمل المقدس ، و ألفوا فى ذلك مؤلفات ، و أصدروا نشرات و كتابات (١) تكشف اللثام عن التلبيس و التزوير ، و التدليس و التدجيل ، الذى هو لحمة « حسام الحرمين » و سداه ، فاتضحت الحقيقة ، وتعرى الواقع ، و أشرق الشمس وفرت خفافيش الظلام « وجاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » .

وكذلك ألف فى الرد على « حسام الحرمين » الشيخ حسين أحمد المدنى — الذى كان نزيلا حينذاك بالمدينة المنورة ، و كان

---

(١) من بين هذه الكتب « سبط البنان » للشيخ أشرف على التهانوى ، « و التصديقات لدفع التلبيسات » للشيخ خليل أحمد السهارنفورى ، و « قطع الوتين » و « الختم على لسان الخصم » و « و السحاب المدرار » للشيخ مرتضى حسين » و « معركة القلم » لكاتب هذه السطور .

يدرس الحديث الشريف فى المسجد النبوى على صاحبه الصلاة و السلام — كتاباً أسماه « الشهاب الثاقب » وقد قام فيه بالرد القاطع على تهم أحمد رضا خان و افتراءاته فى بسط و تفصيل ؛ و ألقى الضوء الكاشف على عقائد و مذهب علماء ديوبند . و من خلال ذلك أكد أن علماء ديوبند ليسوا « بوهابيين » و لايتبعون الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله ، وأكد أن علماء ديوبند لا يمتون إليه بصلة ما ، بل إنهم يختلفون معهم اختلافاً كبيراً ، وقد استخدم فى كل ذلك تلك المعلومات التى حصل عليها عن الشيخ محمد من خلال ما كان يتردد على الألسنة فى مكة والمدينة المنورة - شرفهما الله - من الشائعات والأراجيف التى بثتها الدعاية المكثفة ضد علماء نجد ، و التى أثبتها الشيخ أحمد زينى دحلان وغيره من العلماء فى كتبه . . فمثلا : إن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب يعتقد أن جميع المسلمين سوى أتباعه كافرون ، وأنه يستبيح دماء المسلمين ، ويسيئ الأدب إلى النبى ﷺ ، يقول : إن عصاى أنفع من محمد ﷺ إذ أستطيع أن أدفع بها الكلاب ، و أنه ينكر الشفاعة ، و يمنع الناس من الصلاة على النبى ﷺ ، إلى غير ذلك مما أسلفناه فى بداية هذا البحث ، نقلا عن كتاب الشيخ أحمد زينى دحلان ، الذى كان مفتى الشافعية حين ذاك فى مكة المكرمة .

وقد قلت مراراً إن ذلك كله قد صار فى الأوساط المكية و المدنية كحقيقة ثابتة لا تقبل جدالا و لا نقاشاً و كان الناس يتناقلون على أنها شئ متواتر مستفيض ، لا يحتاج إلى البحث والتنقيب ، فسجله الشيخ المدنى فى كتابه الشهاب الثاقب ظناً منه أن ذلك حقيقة مقررة ، فقد رأى العالم الجليل مثل الشيخ أحمد زينى دحلان المكى و العلامة المحقق الأمير صديق حسن خان القنوجى بشأن كل هذه « الحقائق » فى كتاباتهما ، بل إن الشيخ المدنى قد أحال فى كتابه الشهاب الثاقب على كتابات الأمير صديق حسن خان . (١)

و أعتقد أن ما أسلفت حتى الآن تجلت منه تأليف خلفية كتاب « الشهاب الثاقب » كما قد اتضح أساس ما عزاه الشيخ المدنى إلى الشيخ محمد و أتباعه .

و إلى القارىء الآن خلفية التصريح الصحفى الذى أدلى به الشيخ المدنى فى ١٩٢٥م إلى الصحف .

إن الشيخ المدنى قد ألف كتابه « الشهاب الثاقب » فى ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م ، وحدث فى ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) أن استولى الملك عبد العزيز بن سعود على الحرمين الشريفين بقوته العسكرية

---

(١) أنظر الشهاب الثاقب ص ٤٨ .

وطرد منهما الشريف حسين . (١)

و الشريف حسين هذا كان يحكم الحجاز نيابة عن الدولة العثمانية التركية ، - التى كان حاكمها كخليفة المسلمين - ثم استبد بالحكم خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م بايعاز من الانجليز ، و خرج على الدولة العثمانية ، . و شق عصا خليفة المسلمين ، و أوقع صدعاً هائلا فى صرح التضامن الاسلامى ، و ذلك كله فى ساعة عصيبة ، و وقت دقيق حساس . . و بايعاز من الانجليز ، ألقى الشريف حسين القبض على شيخ الاسلام و المسلمين فى الهند العلامة محمود حسن ، المعروف بشيخ الهند - الذى كان نزيلا حينذاك بالحجاز المقدس من أجل الاتصال

---

(١) الشريف حسين بن على بن محمد عبد المعين من أحفاد أبى نمى بن بركات الحسنى الها شمى ، آخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين ، ولد بـ «آستانه» وكان أبوه بها ، و انتقل معه إلى مكة وعمره ثلاث سنوات ، وفى أيام الحرب العالمية الأولى نهض نهضته المعروفة بايعاز من الاستعمار البريطانى ، وأمده الانجليز بالمال و السلاح ضد عساكر الترك ، و بانتهاء الحرب العالمية فى ١٩١٨م تم استيلاء الحسين على الحجاز كله ، توفى فى عمان و دفن فى القدس ١٣٥٠هـ .

بالحكومة التركية لشن حرب منظمة مخططة على الاستعمار الانجليزى فى الهند (١) - و على تلميذه البار و رفيقه العظيم حسين أحمد

(١) كان الشيخ الكبير العلامة محمود حسن الديوبندى يرى الجهاد - حسب الامكانيات و الوسائل - ضد الحكومة الانجليزية البريطانية فى الهند، من فرائض المسلمين الدينية، و كان يرى ذلك بالنسبة إلى نفسه من أعظم القربات إلى الله، و كان يخطط لذلك و يستعد سراً منذ مدة طويلة، فلما اشتعلت الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٤م فى أوربا، و خاضتها الحكومة التركية ضد الانجليز حليفة لألمانيا، انتهز الشيخ محمود حسن هذه الفرصة، و ارتحل فى موسم الحج و الزيارة إلى الحجاز المقدسة ١٣٣٣ﻫ (١٩١٥م) حتى يتصل بالحكومة التركية تحقيقاً للغرض، و قياماً بالخطوة العملية فيما يتعلق بشن الحرب ضد الانجليز فى الهند، و قد تمكن من إجراء المقابلة السرية فى المدينة المنورة مع وزير الحرب التركى أنور باشا، و مسئول آخر عن الحكومة التركية جمال باشا، و قد تم التخطيط للخطوة العملية، و فى نفس الوقت شق الشريف حسين عصا الطاعة و خرج على الحكومة التركية بايعاز من الانجليز، فألق القبض على الشيخ محمود حسن و رفيقه الشيخ حسين أحمد المدنى و غيره ★

المدنى ، و أسلمهما إلى الانجليز ومعهما عدداً من الرفقاء لحبسوهما لمدة نحو أربع سنوات بجزيرة مالطة . .

استيلاء ابن سعود على الحرمين الشريفين
و قيـامه بالاجراءات الاصلاحيـــة :

ولما تم استيلاء ابن سعود على الحرمين الشريفين فى ١٩٢٤م، بدأ ينفذ خططه الاصلاحية حسب عقيدته ، فهدم القباب على الضرائح ،

★ من الرفقة و أسلمهم إلى الانجليز ، الذين قد اطلعوا عن طريق مخابراتهم على الخطة التى اتخذها الشيخ محمود حسن ضدهم ، لحبسوهم على «جريمة الغدر والخيانة» فى جزيرة مالطة ، و لم يطلق سراحهم إلا بعد أربع سنوات (بعد انتهاء الحرب الكونيـــة الأولى فى عام ١٩١٨م) حينما تأكدت بريطانيا أنه لم يعد هناك مجال لتنفيذ أى خطـــة الحرب ضـــدهـا .

و مما يوسف له أن الشريف حسين قد ارتكب مثل هذه الجريمة النكراء بخدعة من الانجليز ، ولم يستطع أن يحتفظ بامارة الحجاز التى حصل عليها عوضاً عن هذه «الطاعة» و قد سمعت عن بعض من اعتمد عليهم أن الشريف حسين كان يأسف كثيراً و يتفجر بكاء فى آخر أيام حياته - ولا سيما فى مرض وفاته — على هذا الخطأ الفادح ، سامحه الله و غفا عنه .

و عاقب الذين كانوا يعكفون على القبور و يتجرون بها ، وعمل على القضاء على جميع البدع و المنكرات بقوة الساعد و البنان ، و وحد المسلمين على الصلاة بالجماعة خلف إمام واحد بدلا عــن عن الأئمة الأربعة فى المسجد الحرام ، فاتحد القبوريون والخرافيون وجميع طبقات المبتدعين فى الهند ، وأشعلوا من جديد نار الحرب « بين الوهـابيين » و « المبتدعين » التى قــد انطفأت بضربات عواصف حركة الخلافة الاسلامية الجبارة ، التى برزت كأكـــبر حركة إسلامية فى الهند و التى وحدت المسلمين فى الهند و جعلتهم على رصيف واحد على اختلاف الطبقات و المذاهب و المدارس ، فلم يكن يهمهم إلا مطاردة الانجليز من الهند ، و الجهاد ضدهم بكل طريق ممكن ، فتكاتف علماء «بدايون» (١) - وهم معروفون بميلهم إلى البدعة و إيمانهم بالخرافية - و علماء « فرنكى محل » (٢) ،

(١) إحدى مديريات ولاية أترابراديش فى الهند .

(٢) « فرنكى محل » هو قصر عظيم ضخم واسع فى مدينة لكهنو ، وهبه عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند المغولى الصالح لأبناء الشيخ قطب الدين الأنصارى ، و الكلمة معناها « القصر الأفرنجى » و إنما عرف بذلك لأنه كان من أبنية تاجر أفرنجى . . وقد نبغ فى أبناء الشيخ قطب الدين الأنصارى ابنه العظيم العلامة نظام الدين اللكهنوى ، (المتوفى ★

و أتباع الشيخ أحمد رضا خان إمام الطائفة المتبدعة فى الهند ، مع أبى الكلام آزاد (١) ، وزير المعارف الهندى الأسبق ، و علماء

★ ١١٦١هـ) الذى انتهت إليه رئاسة العلم فى الديار الهندية فى العهد الأخير ، و لا تزال المدارس الاسلامية فى شبه القارة الهندية تعض بالنواجذ على المنهج الدراسى الذى أعده الشيخ نظام الدين . . و علماء كثيرون كالشيخ العلامة الفقيه عبد الحى الفرنكى محلى المتوفى (١٣٠٤هـ) و قد أصبح فرنكى محلى رمزاً للعلم و العلماء ، و الفطنة و الذكاء ، و التعمق فى علوم الكتاب و السنة ، وكان علماء هذا البيت يعرفون بعلماء فرنكى محل ، و لكن لله شئوناً فى خلقه ، فلم يعد لفرنكى محل فى عصرنا الأخير شأن و لا مكان ، و تشتت هذه الأسرة الكريمة ، و لم يعد فيهم عالم جليل يشار إليه بالبنان ، و ظهر فيهم بعض مظاهر البدع التى لا يستحسنها عامة علماء الهند المتضلعين من علوم الكتاب و السنة .

(١) أحمد محى الدين المعروف بأبى الكلام آزاد الدهلوى ، أحد دهاة الناس ، و نوادر العصر ، كان خطيباً مصقعاً ، و كاتباً بليغاً ، من أفذاذ الرجال فى الذكاء و الفطنة ، و توقد القريحة ، والثقة بالنفس ، كان فى طليعة المكافحين ضد الانجليز والاستعمار البريطانى ، أصدر مجلتى « البلاغ » ☼

« ديوبند» (١) و ندوة العلماء ، وطائفة أهل الحديث ، وضربوا خلافاتهم عرض الحائط ، وتلاشت الصراعات القائمة بين « الوهابيين » و المبتدعين وبين الأحناف وطائفة أهل الحديث ، فكلهم أصبحوا صفاً واحداً ضد الانجليز ، يذوقون مرارة الحبس و التشريد و الاعتقال من الحكومة الانجليزية على السواء ، وعاشوا فى جو من الود و الوئام نحو أربع سنوات .

لكن اشتعلت الحرب فى الهند بين « الوهابين » والمبتدعين » بعد ما اتخذت الحكومة النجدية إجراءات إصلاحية فى الحجاز على

★ و « الهلال » الأسبوعيتين ، و ألف « ترجمان القرآن » فى تفسير القرآن الكريم ، و بعض الكتب الأدبية و السياسية ، وشغل منصب وزير المعارف فى الحكومة الهندية بعد الاستقلال ، توفى عام ١٣٧٧ هـ ، ودفن بدهلى أمام المسجد الجامع الكبير .

(١) قرية جامعة فى مديرية سهارنفور ، فى أترابرديش ، وفيها تقوم الجامعة الاسلامية الكبرى فى شبه القارة الهندية دار العلوم ديوبند ، وبما أن علماءها حملوا لواء الكتاب و السنة والتوحيد ، ودافعوا عن العقيدة النقية الخالصة ، و جاهدوا ضد البدع و الخرافات : فأصبحت « ديوبند » رمزاً لكل ذلك .

عقيدتها ، و اتحدت فئات المبتدعين المنتشرة فى أرجاء الهنـــد ، و ضربوا خلافاتهم عرض الحائط ، وكونوا جبهة موحدة ضد « الوهابيين » و تكاتف معهم الشيعة .

وهذه الجبهة الموحدة كانت تقوم ضد الوهابيين بنشر الكتاباب و النشرات و الاعلانات المثيرة للعواطف ، و تنشر فى الصحف والمجلات مقالات حماسية مثيرة ، وتقوم بعقد الحفلات والندوات فى كل قرية و مدينة فى أرجاء الهند ، و كانت تصور الاجراءات التى اتخذتها الحكومة السعودية النجدية تصويراً مشوها مفزعاً مؤلماً ، فتقول : إن الحكومة السعودية الوهـابية قد هدمت ضرائح أهل بيت النبى ﷺ ، و أساءت الأدب مع قبور الصحابة رضى الله عنهم ، و كانوا يلقون خطابات مسعورة مسمومـة فى الموضوع ، مما جعل الهند تقوم وتقعد ، و كانت صحيفة « السياسة » الصادرة من « لاهور » لسان حال هـذه الجبهة الموحدة ، كما كانت صحيفة « زميندار » الصادرة من « لاهور » لصاحبهـا الأستاذ ظفر على خان ، لسان حال « الوهابيين » . .

هتاف الجبهة الموحدة بألا يرحلن أحد للحج :

و هنالك قامت الجبهة الموحدة بحركة شنيعة فى طول الهند وعرضها حيث جعلت تمنع المسلمين من رحلة الحج إلى الحجاز ،

معطلة بأن مكة المكرمة والمدينة المنورة تحكمهما « الحكومة النجدية الوهابية » و الوهابيون أسوأ من جميع الكفار على أرض الله ، لأنهم أعداء رسول الله ﷺ ، و أهل بيته وعباد الله الصالحين ، و أوليائه المتقين ، فما دامت هذه الحكومة تستولى على الحرمين الشريفين يجب أن لا يسافرن مسلم إليهما للحج و الزيارة (١) .

وكانت هذه الجبهة الموحدة تستغل فى هذا الصدد آراء الشيخ المدنى فى الشهاب الثاقب ، و على ذلك فكانوا يستخدمونها فى منع الناس عن الحج ، و هنالك تساقطت الأسئلة إلى الشيخ فى هذه

(١) كان لى عم اسمه محمد أيوب ، كان عالماً طبيعاً ، يتمتع بالذكاء العجيب و حضور البديهة و خفة الروح ، فكان يتندر بهذه الجبهة الموحدة لأهل البدع والشيعة ، و يقول: كان هناك رجل قد طبخ اللبن و هيأه لكى يتسحر به ، ففوجى بأنه قد ارتشفته قطة ، فاستشاط الرجل غضباً ، و لم يصم نهاره ، و قال يخاطب الله سبحانه : قل للقطة التى سقيتها لبنى أن تصوم أما أنا فلا أصوم .. فكأن هذه الجبهة الموحدة تحتج ضد الله ، و تنتقم منه ، نعوذ بالله ، و تقول بلسان حالها مر الوهابيين الذين أورثتهم حكومة الحرمين الشريفين ، فليحجوا هم وحدهم !! .

القضية ، فرأى من الواجب أن يدرس الموقف من جديد ، فتوصل إلى الرأى الذى سيقرؤه القراء من خلال تصريحه الصحفى .

و هذا التصريح قد نشرته صحيفة « زميندار » فى عددها الصادر ١٧ / مايو ١٩٢٥م ، و نقله عنها الأستاذ عزيز الدين المراد آبادى فى كتابه « أكمل البيان » الذى ألفه فى الرد على كتاب « أطيب البيان فى رد تقوية الايمان » لصاحبه الأستاذ نعيم الدين المراد آبادي (١) أحد العلماء المبتدعين .

---

(١) هو نعيم الدين بن محمد معين الدين ، ولد فى ١٣٠٠هـ ، و توفى ١٣٦٧هـ ، كان من علماء الطائفة المبتدعة المتحمسين لفكرتهم و عقيدتهم ، ألف كتاباً مستقلا فى الرد على كتاب « تقوية الايمان » أثبت فى كتابه للأنبياء و الأولياء و الصالحين علم الغيب ، و الحضور فى كل مكان ، و التجلى فى جميع موطن ، و قرر أن معجزات الأنبياء من صنع أنفسهم تظهر على أيديهم بارادة منهم ، و عاق على ترجمة الأستاذ أحمد رضا خان للقرآن الكريم ، و من مزايا هذا التعليق أنه لا يتعرض للآيات التى تثبت لله الحاكمية المطلقة ، و السلطة العليا ، و مالكية الملك دون شريك ، و التفرد بالخلق ★

البيان الصحفى للشيخ حسين أحمد المدنى :

« أريد أن أعلن صريحاً دون تلعثم أن الرأى الذى كنت قد أبديته ضد أهل نجد فى « رجوم المدنيين » وفى « الشهاب الثاقب لم يكن يستند إلى كتاباتهم و مؤلفاتهم ، بل إنما كان يستند إلى الشائعات وإلى أقوال مخالفيهم ، لكن مؤلفاتهم الموثوق بها - وقد تناولتها بالدراسة - تدل دلالة صارخة على أنهم لا يختلفون مع أهل السنة و الجماعة ذلك الاختلاف الكبير الذى يتحدث به الناس ، بل الاختلاف يقتصر فيما يتعلق ببعض القضايا الفرعية ، مما لا يجوز أبداً تكفيرهم ، أو تضليلهم ، أو تفسيقهم ، و الله أعلم » (أكمل البيان ص ٩ ، نقلا عن صحيفة « زميندار » اليومية الصادرة من « لاهور » ١٧/ مايو ١٩٢٥م) .

★ و الأمر و التكوين ، و قارىء هذا التعليق يشعر كأن المعاق لا تعجبه حاكمية الله المطلقة و مالكيته للكون وحده ، و قال بمناسبة الكلام على « إياك نعبد و إياك نستعين »: إن الله لم ينه عن الاستعانة بالأولياء و عباده الصالحين ، و لكن « الوهابيين » يمنعون عن ذلك .

إلى هذا الحد كان الرجل إيهاماً ، قليل العقل والفهم .

في الشهاب الثاقب دلائل التأييد لهذا البيان :

إن في الشهاب الثاقب دلائل تشهد بأن الآراء التي أودعها الشيخ المدني إياه لا يستند إلى بحثه ودراسته لكتابات النجديين و اطلاعهم المباشر على مواقفهم ، فقال المدني في موضع :

« ظهر محمد بن عبد الوهاب النجدي في بداية القرن الثالث عشر الهجري في نجد العرب » (١)

على حين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي كان من مواليد ١١١٥هـ ، و بدأ الجهاد اللساني ضد عبادة القبور في وطنه « عيينة » وما جاورها وهو في عشرين من عمره، وظل يواصل العمل للقضاء على البدع و الخرافات ، ويحرز الانتصار و النجاح المتواصل في جهوده و جهاده ، و ظل يزداد مع الأيام عدد أولئك الذين ساهموه في عمليته بالنفس والنفيس والغالي والرخيص ، حتى آمن بدعوته عام ١١٥٨هـ أمير « الدرعية » محمد بن سعود ، و بايعه في دعوته ، و اتبعه كامام ديني ، و نذر جميع وسائله و إمكانياته الحكومية لتصعيد دعوته الدينية وحركته الاصلاحية ، ومع انتهاء القرن الثاني عشر الهجري صارت مناطق نجد كلها وما جاورها من البلاد مجال دعوته ونشاطاته و تحركاته ،

(١) الشهاب الثاقب ص ٤٦ .

و توسع نطاق حكومة آل سعود بالدرعية حتى صارت دولة قوية مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة ، بعد أن كانت إمارة صغيرة ، وفى بداية القرن الثالث عشر الهجرى توفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عام ١٢٠٦ﻫ عن تسعين من عمره . . و كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن ما قاله الشيخ حسين أحمد المدنى عام ١٣٢٨ﻫ فى كتابه « الشهاب الثاقب » : «ظهر محمد بن عبد الوهاب النجدى فى بداية القرن الثالث عشر الهجرى فى نجد العرب » لم يقله على أساس معلوماته المباشرة و دراسته الشخصية . .

موقف العلامة الشامى رحمه الله :

و كذلك ما نقله العلامة خليل أحمد السهارنفورى من رأى العلامة ابن عابدين الشامى نقلا عن « رد المحتار » فانه هو الآخر لا يستند على معلومات الشامى المباشرة ، لأن عبارته نفسها تدل على أن رأيه فى الشيخ محمد يعتمد على ما كان يتناقله الناس و يتحدثون به ، إقرأ قول الشامى للمرة الثانية :

« كما وقع فى زماننا فى أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد ، و تغلبوا على الحرمين ، و كانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون »

إن هذه العبارة تدل على أن العلامة الشامى لم يكن يعرف

بالصحة من هو مؤسس الحركة، فانه يعد «عبد الوهاب» هو الامام و الداعى، و كان ذلك هو المشهور المستفيض فيما بين الجماهير الساذجة، بل إن القبوريين و الخرافيين عندنا فى الهند لا يعرفون حتى الآن إلا هذا، و إنمـا يعتقدون أن «عبد الوهاب» هو الذى قاد «الحركة الوهابية» فكل الملام إليه يوجهون، وبتوجيه السباب إليه يشفون صدورهم .. وبالجملة فان وصف العلامة الشامى «الوهابيين» بأتبـاع عبد الوهاب، دليل صريح على أن قوله فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والنجديين لا يستند إلى اطلاعه المباشر و بحثه و دراسته هو، و إنمـا وقع فريسة سوء الفهم و الخطأ كالكتاب الآخرين الكثيرين ..

و إنى أعتقد أن العلامة الشامى لو تمكن من الاطلاع على الموقف الصحيح فيما يتعلق بالنجديين، لأعلن رجوعه عن رأيه كما أعلن الشيخ حسين أحمد المدنى ..

دلائل ناطقة باخلاص الشيخ محمد،
و صحة دعوته و جهوده وجهاده:

و كل ما أسلفته حتى الآن فيما يتعلق بالشيخ محمـد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله و دعوته و موقفه الدينى ومذهبه الفقهى و منهجه الفكرى، كان كل ذلك هو ما فهمته و توصلت

إليه من دراسة كتابات و مؤلفات أبنائه و تلاميذه و أتباعه أو الكتب التى وضعت فى ترجمة حياته و تاريخ مآثره و مكارمه لكن الذى شرح صدر كاتب هذه السطور وجعله يؤمن بإخلاص دعوته ، و نقاء ديباجة جهوده وجهاده ، هم أولئك العلماء المنتمون إليه الذين رأيتهم عن كثب لا عن كتب ، وجالستهم ، ودرست أحوالهم مباشرة ، والذين أستطيع أن أصفهم « كتباً ناطقة للشيخ محمد » و لا سيما العالمين الجليلين : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ، و الشيخ عبد الله بن حميد .

و من عجيب قدرة الله العزيز الحكيم أن كلا الشيخين ضريران ، أما الأول فكان من ذى قبل رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، والآن هو رئيس إدارات الافتاء والدعوة والارشاد و البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية ، و هو أعظم شخصية دينية عبر المملكة السعودية إليه ترجع المملكة فى مهام القضايا الدينية ، و أما العالم الثانى فكان المشرف الأعلى للشئون الدينية فى مكة المكرمة ، و أما الآن فقد عهدت إليه المملكة مسئوليات علمية و دينية ضخمة ، و يقيم بعاصمة المملكة بالرياض .

ومن نعم الله الغالية ـ التى لا تعد ولا تحصى ـ على كاتب هذه السطور أنه انتخب فى ١٩٦٥م عضواً فى المجلس التأسيسى

لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة - وما كان يخطر منه على بال أنه سيسعد بهذا الشرف العظيم - و منذ ذلك الوقت أتيح له أن يحضر دورات المجلس ، وهذان العالمان الجليلان أيضاً عضوان فيه ، و أما الشيخ بن باز فهو الرئيس الدائم لدوراته و تستمر دورات الرابطة إلى أسبوعين و قد تستمر إلى ثلاثة أسابيع ، فيحصل الاحتكاك بهؤلاء الشيوخ الأجلة - بارك الله فى حياتهم - كثيراً ، ثم تحصل اللقاءات معهم فى مناسبات كثيرة بحكم كونهم شخصيات دينية و علمية مرموقة . . أما الزميل الكبير الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى فله معهم علاقات و صلات وطيدة قلما حظى بها أى عالم من بلاد العجم .

فيرى الزميل الكريم ويرى كاتب هذه السطور أن الشيخين الجليلين عبد العزيز وعبد الله كليهما - رغم أنهما ضريران - يتمتعان بالتعمق و التبحر فى علوم الكتاب و السنة ، و بجانب ذلك يتمتعون بحظ موفور من الورع و التقوى ، و الزهد فى الدنيا ، و الرغبة فى الآخرة ، و الاطراح على عتبة عبودية الرب تبارك و تعالى ، و الرجوع إليه فى كل حال . . و الله أعلم بأحوال عباده . . و قد رأيناهما فى شأن إخلاص التوحيد ، و الشغف الزائد بالدعوة إليه ، و الكراهية الشديدة للشرك و البدع وجميع

مظاهرهما وأشكالهما ، و الحرص على اتباع السلف مع الحرص الشديد على الاعتصام بالكتاب والسنة ، رأيناهما فى الموقف الذى يجعلنا أن نصفهما كتابين ناطقين للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رحمة واسعة .

و بالجملة فانى وجدتهما و من إليهما نموذجاً لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى ، و قد اقتنعت كل الاقتناع بأن دعوة الشيخ و حركته و روحه إنما كانت تلك التى رأيتها فى كتاباته ومؤلفاته وتراجمه ، وأن ما قاله الشيخ أحمد زينى دحلان و غيره فى كتبه و مؤلفاته شئ لا أساس له أصلا ، و إنما هو نفاية و خواء . .

حكومة آل سعود و انفعالها بدعوة الشيخ محمد :

إن إمارة آل سعود بالدرعية التى احتضنت دعوة الشيخ محمد منذ نحو قرنين و نصف قرن ، و اعتبرته إمامها الدينى ، قد انصبغت أجهزتها كلها بدعوة الشيخ ، و صارت مطابقة للشريعة بفضل جهوده ، و يمكن الاطلاع على تفاصيل ذلك بالرجوع إلى تاريخ آل سعود و تراجمهم ، و قد نقل المؤرخ المصرى المعاصر عبد الرحمن بن الحسن الجبرتى فى كتابه « عجائب الآثار فى التراجم و الأخبار » من التصريح بلسان ضابط للقوات المصرية المواجهة

لحكومة آل سعود آنذاك، ما يدل على مدى روح اتباع حكومة آل سعود للسنة و الشريعة :

و من شاء التفصيل فعليه بمراجعة الكتاب .

المملكة السعودية الحالية :

و المملكة السعودية الحالية خليفة حكومة آل سعود بالدرعية التى تحدثت عنها ، إنها أيضاً تعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمامها الدينى ، كأبناء هذه الحكومة و السابقين ، و لما قامت هذه المملكة منذ نحو ٥٥ عاماً كان عاهلها السلطان عبد العزيز بن سعود رحمه الله ، و قد اطلع القراء الكرام بعض الشئ على تدينه ومحافظة شعب مملكته على الأحكام الدينية من خلال رسالة الشيخ خليل أحمد السهارنفورى التى أثبتها فيما مضى من هذا الكتاب ، وقد كتب الشيخ خليل أحمد فى رسالته ما رآه بالعيان بل لمسه بالبنان.

و إن كان فيضان الثراء ، و الذهب الأسود و الأصفر ، و سموم الجراثيم و الميكروبات الفتاكة للايمان ، المؤثرة على روح الاخلاص - التى حملها الشباب المثقف الذى تعلم فى أوربا - وإن كان كل ذلك قد أحدث فتنة كبيرة فى هذا المجتمع الاسلامى ، و أصبح الشذوذ و مظاهر اللادينية و التحرر تعم فى الشباب بسرعة هائلة كما تعم و تموج فى دنيا البشر كلها ، و لا شك أن

تأثير كل ذلك يتعدى إلى أجهزة المملكة و أنظمتها الادارية أيضاً ، و إن كاتب هذه السطور يعرف جيداً أن علماء المملكة المخلصين و شعبها المتدين يبكون على هذا الوضع المرزى المؤسف .

لكن على الرغم من ذلك كله - فيما أعلم - لا أعرف على أرض الله دولة تتمسك بالشريعة الاسلامية كقانون رسمى إلى هذا الحد ، و تعتبر القرآن الكريم دستورها الأساسى ، و تقطع يد السارق كما يأمر به القرآن و تجلد الزانى أو ترجمه ، و كل يعرف أن حاكم هذه المملكة يحافظ على الصلاة و الصيام وما إليهما من الفرائض الدينية ، ويحاول أن يأخذ الشعب بذلك أيضاً .. ولا شك أن الفضل فى ذلك كله يرجع إلى جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

اتصال خدمة الدين و العلم فى أسرة الشيخ محمد :

و مما يجدر بالذكر أن أسرة الشيخ محمد لا تزال تتوارث العلم و التدين ، و خدمة العلم و الدين ، و قلما توجد مثل هذه الأسرة فى العالم الاسلامى ، فمنذ قرنين و نصف قرن ، لا تزال تنجب العلماء الكبار و الصلحاء و الأتقياء العظام ، تدل على ذلك كله مؤلفاتهم و تراجمهم ، و لا شك أن ذلك من فضل الله ، « و الله يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم » .

قد تم بفضل الله كل ما كنت أردت أن أقوله إجابة على سؤال طالب الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

و أخيراً أريد أن أؤكد أن ما قاله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي - أحد علمائنا الكبار - فى فتواه فى شأن الشيخ النجدى و أتباعه يتسم بالاعتدال و التوازن ، والدقة والتحرى ، وقال الشيخ الكنكوهي فى آخر جزء من فتواه « إلا الذين تجاوزوا الحد و دخلهم الفساد » و لا أريد أن أطيل للمرة الثانية ، فقد سبق أن سردت رسالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدى التى اعترف فيها بأن بعض المتطرفين من غلاة عسكره قد أحرقوا بعض كتب العلماء المتقدمين ، و قد عوتبوا على ذلك ، و اعتذر الشيخ أن تصرفهم هذا يرجع إلى جهلهم . (١)

و قد اعترف بعض من ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب بذلك فى عبارة صريحة ، و قالوا إنه كان بعض أتباعه متطرفين لا يحتفظون بالاعتدال ، و ليراجع فى ذلك كتاب « محمد بن عبد الوهاب » لصاحبه أحمد عبد الغفور عطار . (٢)

حتى قال القاضى الشوكانى - و هو ممن يتفقون مع الشيخ

---

(١) راجع الهدية السنية ص ٤٠ .

(٢) ص ١٢٣ ، ١٦٥ ، ١٧٥ .

محمد بن عبد الوهاب فى العقائد ، و المنهج الفكرى ، و يكثرون من الثناء عليه :

« إن جماعة منهم خاطبوه هو و من معه فى حجاج اليمن أنهم كفار » (١)

و لعل هذه الشرذمة القليلة من الغلاة فى جماعته هى التى سببت إساءة الظن بالشيخ محمد و أتباعه ، و دعوته ، و سببت الدعاية الكاذبة ضد علماء نجد ، وإن كان كل ذلك لا يتفق والواقع ، فقد فنده الشيخ و أتباعه و علماء جماعته فى كثير من الكتب و المؤلفات ، حيث لم يتركوا مجالا للشك و الارتياب .

و الله الهادى إلى سبيل الرشاد و هو الموفق للصواب .

بين الامام الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى .
و الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى :

و هناك عبارة فى « فيض البارى » (مجموع محاضرات الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميرى فى درس « صحيح البخارى ») تنمى إلى العلامة الكشميرى ، وفيها وصف للشيخ محمد بن عبد الوهاب بما لا يتفق والواقع ، كما لا يتفق مع شأن أستاذنا الامام الكشميرى و مكانه ، ومع رزانته العلمية ، وأسلوبه

(١) البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٥ .

الممتاز بالجـــدية و الوقار ، فى البحث و التحقيق ، و التعرض للاشخاص و الأفراد .

ثم إن هذه العبارة تتضمن رأياً فى كتاب « تقوية الايمان » للشيخ إسماعيل الشهيد لا يصح عند كاتب هـذه السطور فى حال من الأحوال ، ولا يسعنى أن أتأكد من أن العبارة هى نص ما قاله أستاذنا الكشميرى فى درس صحيح البخارى ،

و أريد أن أتعرض فى السطور الآتية لما إذا كان لهـــذه العبارة نسبة من الصحة ورصيد من الواقع ، و المسئول من الله تبارك و تعالى هو التوفيق للصواب و السداد .

نوعية تأليف « فيض البارى » :

و لابد فى هذا الصدد أن نضع فى الاعتبار أولا ، أن كتاب « فيض البارى » ليس من تأليف أستاذنا العلام الامام الكشميرى رأساً بل إنه مجموع ما أفاده الشيخ الكشميرى لدى تدريس صحيح البخارى ، جمعـــه تلميذه النجيب البار الشيخ بدر عالم الميرتهى ثم المدنى الذى لازم الحضور و الاستماع إلى محاضرات الكشميرى فى صحيح البخارى أعواماً طوالا ، و كان ينوى أنه سينشر هذه الأمالى التى جمعها بعـــد مراجعـــة الشيخ الكشميرى ، لكنه لم يتمكن من ذلك حيث توفى الكشميرى فى

أوائل ١٣٥٢هـ .

ثم قام الشيخ بدر عالم بنقل هذه الأمالى إلى اللغة العربية و جاءت الترجمة فى اربعة مجلدات ، و ظهرت طبعتها الأولى فى مصر عام ١٣٥٧هـ .

و لاشك أن للشيخ بدر عالم ـ رحمه الله رحمة و اسعة ـ منة عظيمة فى رقابنا نحن طلاب العلم إذ حفظ لنا بجهده الجبار هذا التراث العلمى الغالى ، و وفر لنا فرصة الاستفادة من إفادات أستاذنا الامام الكشميرى . وإلا ضاع هذا التراث العلمى فيما ضاع من التراث الهائل عبر التاريخ الاسلامى ، و لكنه على كل حال ليس من تأليف الكشميرى نفسه .

وقد صرح بهذه الحقيقة مقدمه العظيم فقيد العلم العلامة المحدث محمد يوسف البنورى (١) عليه رحمة الله ، فى تقديمه ، فى

(١) العلامة المحدث الفقيه الحنفى محمد يوسف بن سيد محمد زكريا بن مزمل شاه بن أحمد شاه البنورى الحسينى ، ولد فى ١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨م ، فى قرية من قرى « بشاور » ينتهى نسبه عن طريق جده التاسع إلى العالم الربانى الكبير السيد آدم بن إسماعيل الحسينى الغزنوى المدنى إلى سيدنا حسين بن على رضى الله عنهما . ★

. . . .

قرأ مبادى النحو و الصرف فى « كابل » عاصمة أفغانستان على الشيخ عبد الله البشاورى الشهيد فى ١٣٤٠ﻫ وقرأ المتوسطات فى كابل و غيرها ، ثم قرأ كتب العلوم و الفنون ولاسيما الحديث والأصول فى دار العلوم ديوبند فى الفترة مابين ١٣٤٥ﻫ و ١٣٤٧ﻫ ، وتخرج فى الحديث من جامعة « دابهيل » بكجرات ، على أستاذيه الكبيرين الامام محمد أنور شاه الكشميرى الديوبندى ، و العلامة المفسر الشيخ شبير أحمد العثمانى الديوبندى ، صاحب « فتح الملهم فى شرح صحيح مسلم » وقد كان له اختصاص بالامام الكشميرى أفاد منه كثيراً وتشبع بروحه العلمية ، وارتوى من منهله العلمى الفياض ماشاء الله أن يرتوى . . ، وقد استفاد من العلامة الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، والعالم الكبير الشيخ خليل الخالدى المقدسى ، والمحدث الجليل الشيخ عمر ابن حمدان المحرسى المالكى المغربى و غيره من العلماء العظام فى عصره .

وقد كان يجمع بين كثير من العلوم و الفنون ، ولكنه كان عظيماً فى الحديث ، و التفسير ، و الفقه ، وله اليد الطولى فى العربية ، وقلم سيال فى الكتابه باللغة ★

. . . .

العربية ، وذوق فى الشعر العربى وسليقة فى قرضه. إنتهت إليه الرئاسة فى فن الحديث فى شبه القارة الهندية فى هذا العهد الأخير ، و الاعتراف بفضله و تعمقه وتبحره كلمة إجماع من أفاضل العرب والعجم وقد عمل أعمالا جليلة فى مختلف المجالات ، السياسية ، و الاجتماعية ، و الدينية ، و إليه يرجع الفضل فى اعتبار القاديانية أقلية غير إسلامية بباكستان . وقد أسس مدرسة عربية بنيوتاون كراتشى ، بباكستان ، باسم المدرسة العربية ، فأورقت و أثمرت ، و صارت دوحـــة خضراء ذات أغصان مترامية الأطراف فى حياته ، وأفادت باكستان وخدم عن طريقها خدمة جليلة للعلم و الدين .

من مؤلفاته « بغية الأريب فى أحكام القبلة و المحاريب طبع فى القاهرة منذ ١٣٥٧هـ ، ونفحة العنبر فى حياة إمام العصر الشيخ محمد أنور » و « يتيمة البيان مقدمة كتاب « مشكلات القرآن » للامام الكشميرى ، « ومعارف السنن » شرح جامع الترمذى إلى المناسك فى ستة مجلدات كبار ، توفى رحمه الله فى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

ص ٣١ ، إذ قال - بعد ما أشاد بجهوده المضنية المشكورة التى بذلها فى سبيل هذا الكتاب - : « و لا يمكن أن يدعى أنه عصم عن الخطأ فيما جمعه . . ولا أن يدعى إصابته فى تنقيح جميع ما وصل إليه من الشيخ ، وتفصيله وتحريره ، ولا أن يدعى إصابة المرمى فى فهم جميع ما سمعه و وعاه » .

و كاتب هذه السطور يعرف شخصياً أن الشيخ بدر عالم كان يشعر شعوراً قوياً ببعض السقطات فى الكتاب و كان قد بدأ فعلا فى مراجعته وتنقيحه وتصحيحه خلال إقامته بالمدينة المنورة ، و لم يمهله الأجل فلم يتمكن إلا من البدء فى العمل ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه جزاء عباده الصالحين المخلصين .

التعرض لذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى ، والشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغنى فى « فيض البارى » :

جاء ذكر الشيخ النجدى عرضاً واستطراداً فى سطرين قليلين فى « فيض البارى » من خلال الحديث عن « تقوية الايمان » وصاحبه محمد إسماعيل الشهيد ، ولعل الحديث عن الشيخ الشهيد إنما تطرق إلى الشيخ النجدى لأن كليهما كان حاملى لواء الحرب ضد تقاليد الشرك و البدع و الخرافات و العكوف على الأضرحة وعبادة القبور ، و جاهدا فى عهدهما و مناطقهما جهاداً كبيراً فى

سبيل تنقية العقيدة ، و إجلاء الغبار عن عقيدة التوحيد الحنيفية ، وقد لعب معارضوهما دوراً متجانساً فى القيام بالدعايات الكاذبة المخدرة للعقول ، و المصيدة للسذج من الناس . تلك التى فصلناها فى الصفحات الماضية .

و أرى جديراً أن أتحدث فى شئ من التفصيل عن المناسبة التى تنطوى على الحديث عن الشيخ محمد النجدى ، و الشيخ محمد إسماعيل الشهيد الدهلوى ،

قد عقد الامام البخارى فى «كتاب العلم » من جامعه الصحيح باباً بعنوان « باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة » و ساق تحته ملازمة عبد الله بن مسعود لالقاء الوعظ فى أيام الخميس . . وما ساقه الشيخ بدر عالم فى هذه المناسبة من إفادات الامام الكشميرى خلاصته : أن الامام البخارى يريد أن يقرر تخصيص أيام أو أوقات لالقاء الدرس أو الوعظ ليس من « البدعة» فى شئ . ثم أفاض الشيخ بدر عالم فى إبانة حقيقة البدعة و حدودها .

ثم أفرد عنواناً باسم « الفائدة » على حدة من محاضرات الكشميرى وأشاد ـ فيما كتب تحت هذا العنوان ـ بكتاب « إيضاح الحق الصريح ، فى أحكام الميت والضريح » للشيخ محمد إسماعيل الشهيد ،

ونوه بغنائه فى الرد على البدع والخرافات ، والتشنيع عليها وصرح فيما بين هذه السطور بأن كتاب « إيضاح الحق الصريح » أعظم شأنا وأرفع قيمة من كتابه « تقوية الايمان » و قال : « وكتابه تقوية الايمان فيه شدة فقل نفعه » .

و يقول كاتب هذه السطور : إن « تقوية الايمان » فى الواقع يتميز بشدته فى بعض المواضع ، و لكنها شدة فى مواضعها كشدة القرآن الكريم فيما يتصل بالشرك و أحلافه ، و أرى أن المجتمع الاسلامى الهندى كان يحتاج آنذاك إلى مثل هذه الضربة القوية المؤذية على جذور أنواع الشرك و البدع التى نالت كل نصيبها من الرواج و القبول ، تلك الضربة التى ضربها كتاب الشهيد محمد إسماعيل « تقوية الايمان » و الفضل يرجع إلى هذا الكتاب ومؤلفه المخلص المؤمن فيما قام من الحرب الشعواء - فى العهد الأخير - على عبادة القبور و العكوف على الضرائح ، و الاستعانة بالأولياء ، والنذر و الذبح لهم ، وما إلى ذلك من تقاليد الشرك و الخرافات الجاهلية الممتدة جذورها فى أعماق المجتمع .

و كل من له إلمام بتاريخ الشعب المسلم الهندى لقرن ونصف قرن مضى ، يدرك جيداً ما كان لـ « تقوية الايمان » من التأثير

بعيد المدى فى صلاح عقيدة مآت آلاف من عباد الله ، وتمسكهم بأصل الكتاب و السنة و عودتهم إلى الاسلام الخالص من كل شائبة من الخرافات التى ما أنزل بها من سلطان .

على كل فالرأى الذى نجده فى « فائدة » الشيخ بدر عالم فيما يتعلق بكتاب « تقوية الايمان » لارصيد له من الواقع ، على أنه يتعارض مع الآراء المحمودة ذات التحبيذ الحار التى أبداها أستاذ العلامة الكشميرى : الشيخ الكبير المحدث محمود حسن الديوبندى المعروف بـ « شيخ الهند » و العلامة رشيد أحمد الكنكوهى ، والعلامة الكبير المحقق الشيخ أشرف على التهانوى ، ومن هنا فان كاتب هذه السطور يرى أن العبارة التى جاءت تحت « الفائدة » ليست من محاضرات الأستاذ . . كما أن هناك رسالة للشيخ الكشميرى باسم « سهم الغيب فى كيد أهل الريب » فى اللغة الأردية ـ فى الرد على رسالة « إزالة الخفاء » لأحد المبتدعين فى الهند ، التى أثبت فيها صاحبها لرسول الله ﷺ علم الغيب كلياً ـ قد نوه فيها الامام الكشميرى بكتاب « تقوية الايمان » تنويهاً لا يدع مجالا للشك فى أن ما جاء فى « فيض البارى » من الحط من شأن الكتاب ليس من رأى الأستاذ . .

« فيض البارى » والشيخ محمد ابن عبد الوهـــاب النجـــدى :

وقد جاء التعرض ـ بعد الرأى المشار اليه فى كتاب « تقوية الايمان » ـ لذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، بألفاظ نابية غير مناسبة جداً ، و هاك تلك :

« إنه كان رجلا بليداً قليل العلم ، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر » .

وقـــد قلت فيما يتصل بـ « تقوية الايمـــان » إن الكلام الذى جاء تحت « الفائدة » فى « فيض البـــارى لا يمت إلى محاضرات العلامة الكشميرى الدرسية بصلة ما ، و هذه الكلمات التى تطعن فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاءت فى « الفـائدة » أيضاً و ما تنطوى عليه الكلمات من المواصفات لا سنـــد له من الحقيقة البتة ، على أنها لا تتفق مـع مكانة الكشميرى العلميـــة الوقورة الجادة ، و أسلوبه النزية العفيف فى التعرض لأحـــد بالنقد ، و المؤاخذة عليه ، وهذه الدلائل كلها تجعل كاتب هذه السطور يتأكـد من أن مثل هذه العبارة و الفكرة التى تنطوى عليها ، هى من عند الشيخ بدر عالم رحمه الله ، ليس إلا ، ولا غرو إذا كان الشيخ بدر عالم قد تأثر بتلك الدعايات المكثفـــة

المتمسة التى فصلنا القول فيها فى الصفحات الماضية ، والتى فعلت فعلها فى قلوب عظام المخلصين من العلماء الأفذاذ الذين لاترتقى إليهم شبهة ، أمثال العلامة المحدث خليل أحمد السهارنبورى والشيخ العالم العامل المجاهد حسين أحمد المدنى - و الله أعلم بالصواب .

و أما الجزء الثانى من هذا الرأى (أى التسارع إلى الحكم بالكفر) فانه - على الرغم من أنى قدرت أن العبارة ليست هى نص ما قاله أستاذنا الكشميرى - ربما يمكن أن يكون الكشميرى قد رأى هذا الرأى ، لأن هذا الرأى قد أبداه فى الشيخ النجدى بعض أولئك الذين لم يكونوا يعاندونه ، فقد كان العلامة القاضى الشوكانى اليمنى معترفاً اعترافاً بالغاً بجهود الشيخ النجدى المخلصة المؤمنة المضنية فى سبيل الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ، و إفراد الله بالعبودية ، و التمسك بالكتاب و السنة ، وما أثمر غراس دعوته و حركته من نتائج و مكاسب محمودة مباركة ، لكنه على الرغم من ذلك يقول فى موضع من كتابه :

« ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد ، ممتثلا لأوامره ، خارج عن الاسلام » ويقول بعد سطور :

« ومن جملة ما يبلغنا عن صاحب نجد أنه يستحل سفك دم من لم يحضر الصلاة فى الجماعة ، و هذا - إن صح - غير مناسب لقانون الشرع .

ثم يقول بعد إلقاء الضوء على هذه المسألة :

« وتبلغ أمور غير هذه ، الله أعلم بصحتها ، وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج ، و ما أظن أن ذلك صحيح » (١) .

على كل فان القاضي الشوكاني قد رأى مثل هذا الرأي في الشيخ النجدي مع الاعتراف بقيمة جهوده و جهاده في سبيل تصحيح تنقيح العقيدة الاسلامية ، و العودة بالناس إلى التوحيد الخالص ، و العقيدة الاسلامية ، و ذلك في ضوء ما بلغه عن الشيخ النجدي .

وتعلمون أن الانسان إنما يؤسس رأيه وفكرته و موقفه على معلوماته و اطلاعه ، إن صحيحاً فصحيح و إن خطأ فخطأ .

و كذلك قد يمكن أن يكون العلامة الكشميري قد أبدى هذا الرأي في الشيخ النجدي في ضوء معلوماته عنه ، و ربما يمكن أن يكون أساس رأيه هو كتاب « البدر الطالع » للعلامة الشوكاني فقد كانت مؤلفات الشوكاني مما درسه و طالعه .

وقد صرح الشيخ الأمير صديق حسن خان رحمه الله في كتابه « إتحاف النبلاء » ـ بمناسبة الحديث عن الشيخ النجدي ـ أن

---

(١) البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٥ — ٦ ،

عالماً فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وهو السيد داوٌد بن سليمان البغدادى ، قــد ألف كتاباً فى الرد على الشيخ النجــدى باسم « صلح الاخوان » وقد تناول المؤلف فيـه العلامتين الجليلين : ابن تيمية وابن قيم الجوزية ، بالنقد و الطعن .

كما وضع تلميذ من تلاميذ العلامــة الشوكانى الأفاضل ، وهو الشيخ محمد بن ناصر الحازمى النجــدى المتوفى ١٢٨٣هـ رسالة باسم « فتح المنان فى ترجيح الراجح و تزييف الزائف من صلح الاخوان » ترجم فيه أولا للشيخ النجدى ، و تحدث فى اعتراف وإعجاب عن أحواله وحياته وجهوده ومحاولاته ، ثم صرح بأن الرأى الذى أبداه مؤلف « صلح الاخوان » فيما يتصل بتسارعه إلى القتال و التكفير ، صحيح و مؤسس على الانصاف ، أما ما قاله فى الشيخين : ابن تيمية وابن القيم ففنــده الشيخ الحازمى فى قوة وصراحة ، وآخر ما قاله فى هذا الشأن :

« هما عالمان عاملان ، نقيان ثقتان منصفان ، تعبثا لأنفسهما و أديا ما عليهما »

على كل فان الشيخ الحازمى الذى لم يكن من معارضى الشيخ النجدى ، بل كان من أنصاره إلى حدما ، ولم يكن جاهلا بكتابات الشيخ النجدى و مؤلفاته ـ كما تدل عليه رسالته « فتح المنان » ـ

كان يرى موقف الشيخ النجدى من التكفير قابلا للجدال والنقاش بل الاستنكار ، فربما يمكن أن يكون الشيخ الشكميرى رأى فى الشيخ النجدى مثل هذا الرأى .

وقد نقل الشيخ المرحوم نواب صديق حسن خان مقتطفات موسعـــة فى كتابه « اتحاف النبلاء » من رسالة الشيخ الحازمى المشار إليها ، بل عول عليها فى ترجمة الشيخ النجدى .

وقد وقف هذا الموقف نفسه أكابر علماء « أهل الحديث » عندنا فى الديار الهنـــدية من موقف الشيخ النجدى من القتال و التكفير ، و دائماً أعربوا عن اختلافهم مع الشيخ النجـــدى وأتباعه وجماعته فى هذه القضية .

وقد قلت فى مقدمة هذا الكتاب : إن الشيخ مسعود عالم الندوى السلفى رحمه الله هو أول من أفرد كتاباً فى ترجمة الشيخ النجدى ، ووضع فيه جهده ، و سهر فى جمع المواد و المعلومات عنه ، وقد ظهر الكتاب منذ نحو ٣٥ عاما ، وقـــد كان الشيخ مسعود عالم يرى الشيخ النجدى من رجال العزيمة و التجديد فى الأمة الاسلامية ، ولكنه سجل فى كتابه (ص ١٧٥) اختلاف جماعة أهل الحديث فى الهند مع الشيخ النجدى وأتباعه فيما يتصل بالتكفير و القتال .

ويرى كاتب هذه السطور - فى ضوء دراسته لكتابات أتباع الشيخ النجدى وأبنائه - أن بعض أتباع الشيخ النجدى حقاً كانوا غير متحفظين فى التكفير إن لم أقل « متسرعين » وقد قال القاضى الشوكانى فى كتابه « البدر الطالع » .

« ولقد أخبرنى أمير حجاج اليمن السيد محمد بن حسين المراجل الكبسى ، أن جماعة منهم خاطبوه هو ، و من معه من حجاج اليمن بأنهم كفار ، وأنهم غير معذورين عن الوصول إلى صاحب نجد ، لينظر فى إسلامهم ، فما تخلصوا منه إلا بجهد جهيد » (١) .

ونعتقد أن أمثال هؤلاء الناس من أتباع الشيخ النجدى هم الذين كانوا سبباً قوياً فى إساءة سمعة جماعته و حركته المخلصة .

« ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم »

---

(١) البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٥ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة